موسوعة رسالات اسلامية

معرفة الإخلاص و الرّياء في مدرسة فاطمة الزهراء عليها السلام

آية الله الاستاذ
السيد عادل العلوي

المؤسسة الإسلامية العالمية للتبليغ والإرشاد

معرفة الإخلاص والرياء

في مدرسة فاطمة الزهراء عليها السلام

السيد عادل العلوي

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

علوي، عادل، ١٩٥٥ـ م.
معرفة الاخلاص والرياء في مدرسة فاطمة الزهراء عليها السلام / تأليف: عادل العلوي
قم: المؤسسة الإسلامية العالمية للتبليغ والإرشاد، ١٤٣٢ ق. = ١٣٩٠.
١٥٢ ص. شابک: ISBN: 978-600-6197-10-4
موسوعة رسالات الإسلامية.
کتابنامه به صورت زیرنویس. عربی
اخلاص -- ریا -- جنبه‌های مذهبی -- اسلام
BP٢٥٠/٦/ع٨م٦ ١٣٩٠
٢٢٧١٦٤٤ ٢٩٧/٦٣٢

موسوعة
رسالات إسلامية

■ **الكتاب:** معرفة الإخلاص والريّاء في مدرسة فاطمة الزهراء عليها السلام
■ **تأليف:** السيّد عادل العلوي
■ **الناشر:** المؤسّسة الإسلامية العالميّة للتبليغ والإرشاد
إيران، قم، ص. ب ٣٦٣٤
■ **الطبعة:** الأُولى ١٤٣٢ هجري قمري
■ **التنضيد والإخراج الكومبيوتري:** علی انصاری دوست
■ **المطبعة:** كلهر، قم

شابك: ISBN : 978 - 600 - 6197 - 10 - 4
شابك (دورة ١٠٠ جلد): 964 - 5915 - 18 - X - (100-Vol.Set)

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرّحمن الرّحيم

معرفة الاخلاص والريّاء
في مدرسة فاطمة الزهراء عليها السلام[1]

الحمدلله والشكر لله المطلع على سرائر القلوب، والعالم بخفايا الغيوب، البصير بسرائر النيات، والخبير بخفايا الطويّات. الذي لا يقبل من الاعمال إلّا ما كمل وخلص من شوائب الرّياء والشرك. والصلاة والسلام على أشرف المخلوقين سيد الأنبياء والمرسلين المخلصين محمد الأمين وعلى آله، الأئمة الطاهرين المعصومين، وعلى أُمهم سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء، بهجة قلب المصطفى وروحه التي بين جنبيه، وثمرة فؤاده وقرّة عينه. واللعن الدائمة على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

ربي أنطقني بالهدى وألهمني التقوى، أما بعد، وألحقني بالصالحين المخلصين.

---

(١) مادة اوّلية لمحاضرتين أُلقيت من قبل الكاتب في هيئة شباب أبي الفضل عليه السلام في دولة آباد طهران في ليالي شهادة فاطمة الزهراء عليها السلام جمادي الثانية: ١٤٣١هـ، وطبع على نفقة ثلاثة من الاخوة المؤمنين وكانوا في المجلس وأحبّوا أن لا يذكر أسماءهم فجزاهم لله خيراً وأسعدهم وذويهم بحق فاطمة الزهراء في الدنيا والآخرة.

فقد قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[١].

وقال عزوجل: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾[٢]، ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[٣].

وقالت مولاتنا وسيدتنا، الحوراء الانسية، الراضية المرضية، فاطمة الزهراء سيدة النساء سلام الله عليها أبدّ الآبدين: «من أصعد إلى الله خالص عبادته، أهبط الله عزوجل إليه أفضل مصلحته»[٤].

معرفة المنهجيّة في طرح الموضوع

قبل أن ندخل في صلب الموضوع لا بأس من الاشارة الاجمالية إلى بعض النقاط الأولية والاساسية التي تدلّ على خطتنا المرسومة في منهجنا العلمي والعملي في طرح الموضوع والحديث عنه وعن جوانبه والاستدلال عليه.

الأولى: إن دين الاسلام هو دين الاخلاق الإلهيّة والآداب الانسانيّة، كما أشار إلى ذلك نبينا الاعظم محمد صلى الله عليه وآله في بيان فلسفة بعثته المباركة بقوله المعروف: (بُعثتُ لأُتمّم مكارم الاخلاق ومحاسنها) وإن الله قد أثنى عليه ومدحه بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٥] وإذا كانت الصلاة عمود الدين إن

---

(١) البينة: ٥.

(٢) الزمر: ٣.

(٣) الكهف: ١١٠.

(٤) البحار ٦٧: ٢٢٩.

(٥) القلم: ٤.

قبلت قبل ما سواها، وإن ردّت ردّ ما سواها، فمن علائم قبولها أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر مطلقاً سواء في ذلك السيئات والرذائل الفرديّة، أو الفواحش والمنكرات الاجتماعيّة، وهذا كلّه من الاخلاق الثابتة. وما نطرحه فهو من أهمّ المباحث والموضوعات الاخلاقيّة، إلّا هو الاخلاص لله سبحانه.

الثانية: إنّ الاسلام دين العقلانية، فانه في خطاباته الدينية من الآيات القرآنية والاحاديث الشريفة ما يدعو إلى التّعقّل والعقلانية، وتعظيم العقل والعقلاء، وإن المراد من العقل (ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان) وهذه النعمة العظمى ـ العقل وما أدراك ما العقل ـ هي التي أودعها الله في الانسان، وميّزه بذلك عن الحيوانات، يبلغ به قمة الكمالات، فانه آلة لكسب العلوم والمعارف والفنون والفضائل ومرضي الأفعال والأقوال.

وما هذا العقل المدبّر في وجود الانسان، الّا ظلّ لذلك العقل المجرد النوراني، فانه كما ورد في الخبر المعتبر أن أوّل ما خلق الله العقل.

حديث جنود العقل والجهل والتعليق عليه

«بحار الأنوار عن خصال الشيخ الصدوق بسنده عن سماعة قال: كنت عند أبي عبدالله الإمام الصادق عليه السلام وعنده جماعة من مواليه، فجرى ذكر العقل والجهل فقال أبوعبدالله عليه السلام: إعرفوا العقل وجنده، والجهل وجنده تهتدوا، قال سماعة: فقلت جعلت فداك لا نعرف إلّا ما عرفتنا، فقال أبوعبدالله عليه السلام: انّ الله جلّ ثناؤه خلق العقل وهو أول خلق خلقه من الروحانيين عن يمين العرش من نوره، فقال

له أقبل فأقبل، ثم قال له أدبر فأدبر، فقال الله تبارك وتعالى: خلقتك خلقاً عظيماً، وكرّمتك على جميع خلقي.

قال: ثم خلق الجهل من البحر الأُجاج ظلمانياً، فقال له أدبر فأدبر ـ أي إبتعد عن الله سبحانه ـ ثم قال له أقبل فلم يقبل ـ فعصى الله ـ فقال له: استكبرت؟ فلعنه ـ فالجهل ملعون وهو في الشيطان، فاستكبر وكان من الكافرين ولعنه أبد الآبدين ـ ثم جعل للعقل خمسة وسبعين جنداً، فلمّا رأى الجهل ما أكرم به العقل، ما أخطاه. أضمر له العداوة، فقال الجهل يا رب هذا خلق مثلي، خلقته وكرّمته وقوّيته، وأنا ضدّه ولا قوة لي به، فاعطنيٰ من الجنه مثل ما أعطيته، فقال: نعم، فإن عصيت بعد ذلك أخرجتك وجندك من رحمتي، قال: قد رضيت، فأعطاه خمسة وسبعين جنداً، فكان ممّا أعطى العقل من الخمسة والسبعين الجند: الخير وهو وزير العقل، وجعل ضدّه الشر وهو وزير الجهل... والاخلاص وضدّه الشوب ـ الشرك، الرياء ـ إلى آخر الحديث الشريف فراجع[1].

ولهذا الحديث الشريف دلالات كثيرة:

١ ـ الأمر بالعرفان (اعرفوا) ومتعلقة العقل والجهل وجند كل واحد منهما.

٢ ـ العرفان، ومعرفة العقل والجهل يوجب الهداية.

٣ ـ العرفان الصحيح والسليم ما كان في مدرسة أهل البيت عليهم السلام (لا نعرف إلّا ما عرفّتنا).

٤ ـ أول ما خلق الله من الروحانيين العقل ـ وهو العقل الكل النوري والانسان

(١) البحار: ١: ١١٠.

الكامل. وهو الرسول الاعظم محمد ﷺ والحقيقة المحمدية، رحمة للعالمين، فاول ما خلق الله نور نبيّكم، وأول ما خلق الله روحي.

ثم يطلق: الرّوح ـ بضم الراء المهملة ـ في القرآن الكريم والحديث الشريف كمصطلح على معان: كجبرئيل الروح الأمين، وروح القدس وهو الروح الاعظم أعظم من جبرئيل ونسب إلى الله تشريفاً في قوله تعالى ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾.

كما يطلق على سائر الملائكة، ويقال لعالم المجردات وعالم الملكوت وعالم الأمر وما في الغيب: (الرّوحانيون) كما يطلق الروح على ما تقوم به الجسد ويكون مدبراً للقوي في الانسان، وبه تكون الحياة النباتيّة والحيوانية والانسانية، كما يطلق على القوة الناطقة الانسانية، ويطلق على العقل أيضاً.

ويقال في نسبة الواحد: الروحاني، وفي نسبة الجمع: الروحانيون، والألف والنون من زيادات النسب. فاوّل ما خلق الله في عالم الأمر والملكوت، وأول خلقه من الروحانيين هو العقل.

٥ ـ خلقه من يمنه وبركته، فهو المبارك، فخلقه عن يمين عرشه الإسمي والمسمائي، ومن نوره ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ولعله اشارة إلى عدم تركب العقل من المادة الظلمانية، وكذلك من الصور، ويسمى بالعقل المجرد والاضافة (من نوره) إليه تعالى من الاضافة التشريفيّة كبيته الحرام وكتابه المقدس.

٦ ـ لقد أختبره وإمتحنه في ذلك العالم المجرد الملكوتي بأمره ونهيه، وإمتثل باختياره، لا بالجبر والتفويض، ويدل على ذلك امتناع الجهل عن الاقبال ولولا الاختبار والاختيار لما كان ذلك، وهذا يدلّ على الاختبار والابتلاء الإلهي في كل العوالم في قوسي النزول والصعود، فتدبّر.

٧ ـ عظمة الانسان وكرامته على الله وعلى الخلق بعقله النوراني، والمطيع المتمثل لأوامر الله ونواهيه، وهذا معنى قولهم: (العقل ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان) (خلقك خلقاً عظيماً) (وكرمتك على جميع خلقي).

٨ ـ أصل الجهل من الظلمات، وما كان كذلك يستحيل ان يصدر منه النور، فان فاقد الشيء لا يعطيه، وإنّ النتيجة تابعة لأخس المقدمات، فاينما كان الجهل والجاهل، كان الظلام والشرّ (ثم خلق الجهل من البحر الأحجاج ظلمانياً).

٩ ـ الجهل متكبّر في حقيقته. وملعون ومطرود عن رحمة ربّه (استكبرت؟ فلعنه).

١٠ ـ العقل والجهل بمنزلة ملكين وقياديين يتصارعان دائماً على السلطة وعلى عرش الملكويّة وكراسي الحكم، فكل واحد يريدان يكون هو وحزبه وجنوده الحاكم في وجود الانسان وفي مملكته، وكل واحد له ماله من الحزب والجند والعسكر في التصفية الفردية أو الجماعية، فان الرياء والشرك المشوب في العمل يريدان يتغلب على الاخلاص، وأن التكبّر يحاول أن يغلب التواضع وهكذا.

١١ ـ لا يمكن المصالحة بين العقل والجهل، فانه منذ اليوم الاول أضمر الجهل العداوة للعقل، ومن ثم لا يمكن الجمع بين العاقل والجاهل، فان الناس أعداء ما جهلوا، إلّا أن يصير العاقل جاهلاً، أو الجاهل عاقلاً، ولا نزاع بين العقلاء، اما الصراع بين الجهلاء انفسهم، أو بين الجهلاء والعقلاء، فان العاقل ظرف العقل والجاهل ظرف الجهل، وبين المظروفين صراع ونزاع، فكذلك يسرى القالبين والظرفين، فتعقل وتدبّر.

١٢ ـ ان الجهل وقيح وقبيح، ومن وقاحته أن يعترض على خالقه ومربيّة أيضا: (يا رب هذا خلق مثلي خلقته وكرّمته وقوّيته وانا ضده، ولا قوة لي به فأعطني من الجنة مثل ما أعطيته).

١٣ ـ ومن قباحة الجهل وحماقته أن يرى نفسه مثل العقل، وفي رتبته، مع انه في واقعه يعترف بكرامة العقل وقوّته، إلّا انه يقول (يا ربّ هذا خلق مثلي).

١٤ ـ لعلّ المراد من الجهل هنا هو النفس الامارة بالسوء والشهوات التي تكون مبدءاً لكل خطيئة لا الجهل المقابل للعلم، فانه يكون من جنودها كما في تتمة الحديث فراجع، كما يطلق في الروايات الجهل على النفس الامارة.

١٥ ـ لقد اشترط الله على الجهل بان لا يعصيه بعد ذلك، وإلّا فإن عصى ـ كما يعصي الجاهل ـ فانه يخرجه وجنده من رحمته، وكانما المعصية الاولى في قوله تعالى (ثم قا له اقبل فلم يقبل) قد غفرت له في الخلق الاول، ويبقى ما يرتكبه من المعصيّة في العوالم النازلة، ولا سيما في الدنيا الدنيّة.

هذا غيض من فيض في مدلولات الخبر، وإنّما كانت بمنزلة اشارات عابرة طلباً للإختصار واستطراداً للباب، فان المقصود معرفة الاخلاص والريّاء.

فحديثنا في هذه العجالة إنّما هو مع العقلاء واولى الألباب وذوي النهى، فان الخطاب يتوجه اليهم أولاً وبالذات.

الثالثة: إنّ الاسلام دين الايمان الكامل باللّسان والجنان والأركان، فهذا الموضوع وأمثاله إنّما هو خاص بأهل الايمان بالمؤمنين والمؤمنات من شيعة الائمة المعصومين من أهل البيت عليهم السلام، فإنه من الخطاب الإلهي والتربية الرحمانية والتعليم الربوبي للمجتمع الايماني الدالّ عليه قوله تعالى: ﴿يا أيّها

﴿الذين آمَنوا﴾ وهذا من الهداية الخاصة. بالمؤمنين والقريبة من المحسنين، وإنها من تجليّات الرحمة الرحيميّة.

ولا يخفى إن الله سبحانه من كمال رحمته ولطفه كلّف جميع العباد بدعوة وموعظة واحدة ﴿إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ﴾[1] وطلب من عباده مطلقاً أن يستجيبوا له ولنبيّه إذا دعاهم لما يحييهم حياةً طيبةً وكريمةً، وأنزل الكتب ليقيموا الناس بالقسط، وختم الرسالة بمحمدٍ المصطفى صلى الله عليه وآله كما ختم الكتب بالقرآن الكريم الذي يهدى للتي هي أقوم، فانزله هدى للناس.

إلّا ان من الناس من آمن ومنهم من كفر، فاما الذين آمنوا فزادهم الله ايماناً وهدى، فكان كتابه هدى للمتقين بهداية خاصة.

فالخطابات الالهيّة أولاً عامة ولجميع الناس، وللمجتمع الانساني، ولكن بعدئذٍ يكون الخطاب خاصاً بالمجتمع الايماني، واما من كفر ونافق وفسق وفجر فيزيدهم الله مرضاً وضلالاً، وكان عنده كالأنعام بل أضل سبيلاً، فلا يخاطبهم إلّا بلغة السخط والغضب والوعيد والعذاب والنار وبئس المصير.

فالخطاب في هذا الوادي وان كان عاماً لكل من يسمع ويرى، إلّا أن المنتفع منه من كان مؤمناً، من كان له قلب وألقى السمع وهو شهيد.

الرابعة: إن الإسلام دين البرهان الساطع والدليل القاطع، والمنطق السليم والقول السديد والحجة البالغة، فانه يعلو ولا يُعلى عليه، وانه الصادق الأمين ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[2] (نحن أبناء الدليل أينما مال نميل)

---

(١) سبأ: ٤٦.

(٢) البقرة: ١١١.

ومحور أدلتنا في الموضوع المطروح يدور بعد الدليل العقلي والفطري ـ حول دعامتين أساسيين نعتمد عليهما، ونستند إليهما، وهما: القرآن الكريم والسنة الشريفه المتمثلة بقول رسول الله والعترة الهادية وافعالهم وتقريراتهم، فهما الحجة النقلية عندنا، كما نعتمد على الركن الآخر في مقام الاستدلال وهو العقل السليم والفطرة الموحدة، فدليلنا العقل والنقل، والمراد من النقل القرآن الكريم والاخبار الشريفة في سنة رسول الله ومنهاج الائمة المعصومين عليهم السلام، انطلاقاً من حديث الثقلين المتواترة عند الفريقين ـ السنة والشيعة ـ).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وفي مواطن كثيرة: (إنّي تارك (مخلف) فيكم الثقلين ـ الخليفتين ـ كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما ان تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً، وأنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض).

فالنجاة كل النجاة لمن تمسك بهما قولاً وعملاً، والهلاك كل الهلاك من هجرهما أو هجر أحدهما.

فنعتمد في مقام الاستدلال والبرهان والحجة والدليل على العقل السليم، ثم على النقل الثابت والمعتبر، على كتاب الله الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من خلفه ولا من بين يديه، هدى للناس ثم هدى للمتقين، يهدي للتي هي أقوم، وبشرى للمؤمنين.

وعلى أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام اللذين أذهب الله عنهم الرجس أهل البيت وطهّرهم تطهيراً.

فمن تمسّك بهما هدى وسعد، ومن تُخلف عنهما ضل وشقى وخسر، وذلك هو الخسران المبين، فان المتقدّم عليهم مارق، والمتأخر عنهم زاهق، واللازم

لهم لاحق، فكان من الفرقة الناجية في الدنيا والآخرة. فما نعتمد عليه هو النور التام، والذي تجلّى فيه نور الله جلّ جلاله. وانه في العلم الكاشف عن الحقائق والدّقائق.

الخامسة: ان الدنيا دار إختبار وإمتحان، وانها مزرعة الآخرة، ومتجر أولياء الله، فما خلق الله الموت والحياة إلّا ليبلوا الناس أيهم أحسن عملاً وأخلص نيّةً، كما ورد في الاخبار الآتية، ثم التضاد بين الأشياء هو الحاكم على ما سوى الله، فانه عزوجل الواحد الأحد، الذي لا تركيب فيه، ولا ثاني له، ولا ضد ولا مثل ولاندّ له، ليس كمثله شيء، وما سواه فان الله خلق كل شيء من زوجين، كما جعل الكثرة والوحدة، والتقابل والتخالف والتّآلف، وجعل من المتقابلين التضاد والتناقض، ثم تُعرف الأشياء بأضدادها، فاذا خلق الموت خلق الحياة، وإذا خلق النور خلق الظلمة، وإذا خلق العقل وأكرمه بجنود، فانه خلق الجهل وأعطاه جنوداً، وكان الاخلاص من جنود العقل، كما كان الرياء من جنود الجهل.

وإنّما يكون الاختبار، كما المعلم يختبر في الامتحان السنوي طلابه حتّى يتبيّن الكسول من النشيط، وكذلك المعلّم الاول وهو الله سبحانه، فان من عباده من يدخل الجنة. ومنهم من يدخل النار، ولله الحجة البالغة، وإنّه أعدل العادلين وأحكم الحاكمين، فاقتضى عدله وحكمته أن يخلق داراً يعرف فيها المؤمن من الكافر، بعد أن منح الجميع أصل الاستعداد والموحّد، الذي هو منطق التكليف الديني والشرعي، والذي يترتب عليه الثواب والعقاب، كما منحهم حرية الاختيار والانتخاب، فكان الانسان مختاراً. كما هداه الله إلى النجدين. نجد الخير وطريق الشر، والانسان في مفترق طريقين، وإنه باختياره يختار أحدهما،

فان اختار طريق الجنة وكان شاكراً فقد اهتدى. وكان من أصحاب الجنة، وإن من اختار الكفر كان من أصحاب النّار.

وبالنسبة إلى موضوعنا (الاخلاص والرياء في مدرسة فاطمة الزهراء عليها السلام) فان الانسان بإختياره التمثّل بأحدهما، فاما أن يكون مخلصاً شكراً أو مرائياً فاجراً غادراً.

السادسة: إنّ هذا الموضوع القيّم والمهم في حياتنا الدنيويّة واليوميّة ولا سيما في عباداتنا من أصعب مصاديق الجهاد الأكبر، ومن الواضح كما في نهج البلاغة عن أميرالمؤمنين عليه السلام ان الجهاد بابه مفتوح لخاصة أولياء الله، فانما يفوز به من كان منهم، إلّا ان الله سبحانه خلق الانسان مفطوراً على توحيده وعلى حبّ الجمال والخير والكمال. كما منح للجميع على نحو واحد أصل الاستعداد. وان كان اختلافهم باختلاف مراتبه، إلّا ان أصل الاستعداد وقبول الحكم إنّما اعطى عن نحو واحد، فالكل في ذلك سواسي، ومن هذا المنطلق كلّف الجميع بذلك، ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ ـ كما صرح بذلك في كتابه الكريم ـ فكل واحد بإمكانه واستعداده الاولي يمكن ان يكون سلمان زمانه، يبلغ من الايمان في أعلى درجاته، والتفاوت إنّما في اختلاف الاستعداد، وعليه يترتب أصل الثواب وأصل العقاب، فمن كان عنده عشر درجات من الاستعداد مثلاً وعمل بمقدار العشرة فانه كان من الفائزين ومن أصحاب اليمين في جنات وعيون، وأمّا من كان له مأة درجة من الاستعداد، وقد اتى بتسعين أى مأة إلّا عشرة، فانه سوف على تركه العشرة، فيأخذ نصيباً من العذاب في الدنيا وفي الآخرة، وهذا من أعظم آيات العدل الإلهي.

وإنّما نستوحي ما في عالم الثبوت ما ورد لنا في عالم الاثبات من الأدلة النقليّة من الكتاب والحديث، وبهذا يثبت المطلوب من كون أصل الاستعداد البشري والفطري التوحيدي واحداً، وذلك الذي يتعلق به التكاليف الشرعيّة، وان كان التفاوت في مراتبه ودرجاته، فانه بمقدار ذلك يكون فيه الحساب، فكل واحد إنّما يحاسب على قدر عقله، وعلى مقدار أعطاه من التفاوت في الاستعدادات والظروف والبيئة الخاصّة والعامة.

ومن هذه المنطلقات سيكون حديثنا حول الموضوع من الحديث والكلام العام أي لعامة الناس على إختلاف عقولهم، وعلى اختلاف أديانهم ومذاهبهم وأفكارهم وجنسيتهم، إلّا ان القلوب أوعية، فخيرها أوعاها، وان العاقل المؤمن هو الذي يتفاعل مع مثل هذا الموضوع (الاخلاص والرياء في مدرسة الزهراء عليها السلام). وانهم ليصبرون اياماً قليلة في طاعة الله خالصاً ومخلصاً، لتعقبهم أياماً طويلة في جنات عدن في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

السابعة: المقصود من الاخلاص المبحوث عنه في هذه الرسالة هو الاخلاص مع الله سبحانه، فان الاخلاص تارة يكون مع الناس، ومع النفس، ومع الطبيعة، فهذا من الاخلاص الأرضي، الذي يوجب التوفيق البشري مطلقاً، فان من كان مخلصاً في صناعته مثلاً، ومن كان مخلصاً مع نفسه. ومع الناس وفي عمله وشغله. ومع ربّ العمل فانه يكون موفقاً في حياته سواء أكان مسلماً أو كافراً، كما في علم النفس الحديث، فانه يذكر العلماء في هذا الفن أنه كلّ من يلتزم بعوامل سبعة فانه لا شك يكون موفقاً وناجحاً في حياته، وقد ذكرته تفصيل ذلك وعلى ضوء القرآن والعترة في رسالة (كيف تكون موفقاً في الحياة)

وكذلك (النبوغ سرّ النّجاح في الحياة) ومن العوامل السبعة : الأخلاص .

ولكن المقصود في الاخلاص هنا هو الاخلاص في العبادات ومع الله سبحانه وتعالى ، فيعدّ من الإخلاص السمائي والأُخروي . انطلاقاً من قاعدة أرضية ودنيويّة ، فلا تغفل .

إن الإخلاص في النوايا والاعمال ، سواء الاقوال أو الافعال ، إنما هو من جنود العقل الذي خلقه الله من نوره ، ومن يمين عرشه ، كما خلق الجهل من الظلمات ، وكان الريّاء الذي يقابل الاخلاص من جنوده ، ومنذ اليوم الاوّل من خلقة الانسان . بدء الحرب والصراع في ساحة وجوده بين الزعيمين والنزعتين : العقل والجهل وبين جنودهما ، كل يريد أن يتملك ويتصاحب قلب الانسان وقالبه ، يستعبده في ظاهره وباطنه ، وفي كل مجالات حياته ، وأبعادها الفردية والاجتماعية .

فالاخلاص في جوهره وحقيقته ، نوراني الذات والصفات والأفعال ، وإنّه من التوحيد الخفي الجامع بين الجلال والجمال والكمال ، كما انّ الرّياء ظلماني الوجود في ذاته وصفاته وأفعاله ، وإنه من الشرك الخفي .

فمن حمل الاخلاص بإخلاص ، وكان من العباد المخلصين ، فقد فاز بتوحيد الله وعبادته الخالصة ، ومن كان مرائياً ، كان مشركاً ويدعى يوم القيامة : يا فاجر ، يا غادر ، يا مرائي ، ضلّ عملك ، وبطل أجرك ، إذهب فخذ أجرك ممّن تعمل له[1] .

---

(١) منية الفريد : ٣١٨ .

اعرف عدوّك اللدّود

إن ابليس الشيطان الرجيم، لم يسجد لآدم كما أمره الله سبحانه، فأُخرج من الجنة مطروداً معلوناً بعيداً عن رحمة الله، فأراد أن ينتقم من آدم وحوّاء، فأقسم بعزة الله أن يغوي ويضلّ بين آدم جميعاً. إلّا عباد الله المخلصين، والقرآن الكريم يصوّر لنا الحوار بينه وبين ابليس اللعين في سورتي (ص) و (الحجر) بقوله تعالى:

﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ * قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ * لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1].

﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ * قَالَ

---

(١) ص: ٧٧ ـ ٨٥.

هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ * إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ * وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ * لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ * نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[1].

فالشيطان اللعين هو عدوك الأوّل والأخير، فاعرفه المعرفة، واحذره غاية الحذر، فإنّه أساس شقاء الانسان في الدنيا والآخرة.

أعاذنا الله وإياكم من شرّه ومن شرور أنفسنا ومن شر كلّ شيطان ما رد من الجنّ والإنس.

---

(١) الحجر: ٣٤ ـ ٤٩.

قبس من نور الأخلاص

إن نور الاخلاص يراه كل من كان بصيراً، ومن كان في هذه الدنيا أعمى القلب، فانه لا يرى نور الاخلاص وحقيقته، والانسان كما في جسده الظاهري يملك البصر لرؤية الاشياء وجمالها، فكذلك يملك بروحه وقلبه الروحاني المعنوي: البصيرة للتبصّر ولرؤية حقائق الأشياء وجمالها الغيبي، ومعرفة أسرارها وحكمتها والوقوف على فلسفتها الوجوديّة، ثم نور البصر كما في علم الطب ذو درجات ستة، فكذلك في بصيرته، فلو كان حادّ الرؤية ونافذ البصيرة، لكان يرى بطون الاشياء ومراتبها المتعالية، فان البصير حقاً يرى مراتب الاخلاص السبع ـ كما سيأتي ـ، وأمّا من ضعفت بصيرته فيرى بعضها دون بعض، كما سيتضح.

وإذا ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾[1] انه من مصاديقه في الحج فمن استطاع ولم يحج وكفر وستر هذا الحق، فان الله غني عن العالمين، وإنه يحشر يوم القيامة أعمى، فيقول: لِمَ حشرتني أعمى وكنت بصيراً، فيقول سبحانه وتعالى ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا﴾ فكفرت

---

(١) الاسراء (١٧): ٧٢.

بها فتحشر اليوم أعمىً وبئس المصير. فهذا العمى لا يختص بفريضة الحج، بل يتعلق بكلّ آيات الله و براهينه، وبكل الواجبات الدينية، فمن كان أعمىٰ عن الحق في عقائده وعن الحقيقة في دينه، فإنه يحشر كذلك يوم القيامة، يوم يجعل الله بصرك اليوم حديداً ونافذاً لترى الحقائق كما هي.

فمن كان بصيراً فبمقدار درجات بصيرته يرى نورالاخلاص، ومن كان يملك الدرجات الستّ، فانه يرى المراتب السبع، ومن كان بصره بست درجات، فانه يرى أدق الخطوط والحروف والأعداد، بخلاف من يملك درجة واحدة فانه إنّما يرى كبار الحروف والاعداد كما في مطب دكتور العيون في مقام الفحص والمعالجة.

فمن كان بصير العينين في قلبه الروحاني، إذ للقلب الروحاني الذي يمثله القلب الصنوبري اللّحمي في القفص الصدري، ويكون بمنزلة الظل لذلك القلب الروحي، أُذنان وعينان ـ كما ورد في الاخبار الشريفة ـ فمن يرى بعين بصيرته إن كانت حادّة ونافذة كما كان في مولانا أبي الفضل العباس قمر بني هاشم عليه السلام كما قال الإمام السجاد زين العابدين عليه السلام: إنّ عمّي العباس كان نافذ البصيرة. كما إنّ نفوذ البصيرة من علامات المؤمنين الكمّلين، فانه يرى درجات الاخلاص ومراتبها السبع، كما يعرف آفاته من الرياء وما يلحق به في حب الدنيا وحب الآخرة والسمعة وغير ذلك. كالكذب وقول الزور والعجب وإرتكاب الذنوب ومذام الافعال، وقبائح الصفات وإتباع الشيطان وجنده من الجنّة والناس، فان نافذ البصيرة يطوى المراحل السبع ويخرق الحجب النورانية والظلمانية، كما في علمي الاخلاق والعرفان.

تعريف الاخلاص

إنّ الاخلاص يعني تجريد القصد والنية عن الشوائب والآفات كلّها، فمن عمل أو قال رياءً فهو مراءٍ مطلقاً، ومن عمل الطاعة القولية أو الفعلية إلّا أنه إنضمّ إلىٰ قصد القربة إلى الله سبحانه قصد غرض دنيوي، بنحو لم يكن العمل خالصاً مخلصاً لله، فانه عمله مشوب وغير خالص، كاللّبن الأبيض الذي يكون فيه الشعرة السوداءُ، وكمن يقصد صحة البدن من صومه، والألعاب الرياضيّة من الصلاة، والتخلص من الهمّ والغم في الحج، والتبردّ وطيب الرائحة في الغُسل والوضوء، والخلاص من لجاجة السائل بالتصدق عليه، وما شابه ذلك، كأن يتوضأ جيداً، أو يقرء الحمد في صلاته جيداً ليسمعه الآخرون فيمدحونه.

فمتى ما كان الباعث والقصد في الطاعة هو التقرب إلّا انه انضم إليه من هذه الدواعي والخطورات القلبيّة، فانه يخرج عمله من كونه خالصاً مخلصاً وان كان صحيحاً ومسقطاً للتكليف.

وكلامنا في علم الاخلاق وليس في الفقه حتى يصحّح الفقهاء عمله بطرقهم الفقهيّة كما في علم الفقه، فان في الفقه يكون الحديث عن صحة العمل وإسقاط التكليف، وهذا ما يسمي بالفقه الأصغر، وفي الاخلاق أوالعرفان المسمى بالفقه الأكبر، فان الحديث في كمال العمل وقبوله، فليس كل صحيح فقهاً مقبول عرفاناً، فانه (لا صلاة لجار المسجد إلّا في المسجد) وهذا من قبول الصلاة وكمالها، لا من الصحة كما في (لا صلاة إلّا بطهور) حيث تكون باطلة لو كانت فاقدة للطهارة، فتدبّر.

فالاخلاص تخليص العمل من كل الشوائب كثيرها وقليلها، حتى ولو كان بمقدار الذرة، وبُسمك الشعرة.

ثم أعلى مراتب الإخلاص، وهو الأخلاص المطلق وإخلاص المقرّبين الصدّيقين، هو إرادة وجه الله خالصاً، حتى الخلاص من الإخلاص، فيكون مخلصاً لله ـ بفتح اللاّم كما في الآية الشريفة ليكون اسم مفعول وهو من أخلص الله سبحانه بعد ان يطوى مراتب الاخلاص لله سبحانه حتّى يستخلصه الله بخالصة ذكرى الدار ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُوراً﴾[1] فلا يتعلق به الغرض معلقاً لا في الدنيا ولا في الآخرة، وهذا لا يتحقق إلّا لمن كان فانياً في إرادة الله سبحانه، مستغرقاً في حبّه وجماله، لا يرى في الدّير ديّاراً إلّا هو جلّ جلاله.

ودون هذا الاخلاص فهو من الاخلاص الإضافي، كأن يقصد الثواب أو يتخلّص من العقاب، وهو أدنىٰ درجات ومراتب الاخلاص.

وقد أشار سيد الانبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وآله إلى حقيقة الاخلاص بقوله: (هو ان تقول ربي الله ثم تستقيم كما أمرت)، تعمل لله، لا تحب ان تحمد عليه! أي لا تعبد هواك ونفسك، ولا تعبد إلّا ربك، وتستقيم في عبادتك كما أمرت)[2].

قال معلم الأخلاق المحقق النراقي في كتابه القيم جامع السعادات: (وهذا إشارة إلى قطع ما سوى الله سبحانه عن مجرى النظر، وهو الاخلاق حقاً، ويتوقف تحصيله على كسر حظوظ النفس، وقطع الطمع من الدنيا، والتجرد في

(١) الانسان: ٩.

(٢) جامع السعادات: ٢: ٤١٤.

الآخرة، بحيث ما يغلب ذلك على القلب، والتفكر في صفات الله تعالى وأفعاله، والاشتغال بمناجاته، حتى يغلب على قلبه نور جلاله وعظمته، ويستولى عليه حُبه وأنسه، وكم من أعمال يتعب الانسان فيها، ويظن أنها خالصة لوجه الله تعالى، ويكون فيها مغروراً لعدم عثوره على وجه الآفة فيها.

كما حكى من بعضهم أنه قال: (قضيت صلاة ثلاثين سنة كنت صليتها في المسجد جماعة في الصف الاول، لأني تأخرت يوماً لعذرٍ، وصليت في الصف الثاني، فاعترتني خجلة من الناس حيث رأوني في الصف الثاني، فعرفت أن نظر الناس اليّ في الصف الاول كان يسرّني وكان سبب استراحة قلبي من ذلك من حيث لا أشعر؟

وهذا دقيق غامض، وقلّما تسلم الاعمال من أمثاله، وقلّ من يتنبّه له، والغافلون عنه يرون حسناتهم في الآخرة كلها سيئات ـ فما بالك بمن كانت أعماله وأقواله سيئات ـ وهم المقصودون بقوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾[1] ﴿وَبَدَا لَهُم مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾[2] وبقوله: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾[3] انتهى كلامه رفع الله مقامه.

ومن هذا المنطق ورد في الحديث الشريف: (الناس كلهم هلكى إلّا العلماء، والعلماء كلّهم هلكى إلّا العاملون، والعاملون كلّهم هلكى إلّا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم).

---

(١) جاثية: ٣٣.

(٢) الزمر: ٤٧.

(٣) الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٤.

لأنّ الرياء الذي يقابل الاخلاص إنما هو في الاعمال قولاً وفعلاً، وفي النوايا والمقاصد يمشي ويسري كدبيب نملة سوداء على صخرة صلداء في ليلة ظلماء، فمن يحسّ بدبيبها ؟!!

الاخلاص صعب مستصعب

لقد ورد في حكايات علمائنا الأعلام ما يشيب الطفل ويُذهل العقول، فهل سمعتم وقرائتم قصة العلامة المجلسي وقصة المقدس الأردبيلي قدس سره ؟

فان من وراء أمثال هذه الحكايات وما ورد في الآيات والاخبار يُعلم بأن الإخلاص من الصعب المستصعب، وإنه من الأمر الذي لا يتحمله إلّا ملك مقرب أو نبي مرسل، أو مؤمن امتحن الله قلبه بالإيمان.

حدثني أُستاذي قدس الله نفسه وهو من مشايخ الاخلاق والعرفان:

إنّ الشيخ المقدّس الأردبيلي قدس سره (وفاته ٩٩٣ ق) هذا الرجل العملاق من رموز علمائنا الأعلام الذي كان الناس يتبركون ويستشفون بماء وضوئه، كما كانت الصحابة تفعل بماء وضوء رسول الله محمد صلى الله عليه وآله، والعلماء ورثة الأنبياء، وله كرامات ومقامات منها:

أنه كان يشتغل في النساجة والحياكة حتى يأكل من كدّ يمينه، وفي يوم من الأيّام عند ما أذّن المؤذن ليعلن عن موعد لقاء الحبيب، فيخلوا الأحباء بحبيبهم ويعرجوا إليه في صلاتهم ودعائهم، بقي خيط من نسيجه، فقال في نفسه اكمل هذا الرديف وأُعدّي هذا الخيط وأقوم للصلاة، فأُكمله، ثم جاء إلى البئر ليتوضأ وكان وحده، فادلى دلوه ليخرج الماء، وإذا به يرى الدلو قد أُمتلى بالذهب

والموجوهرات، فتعجب من ذلك، فانه يريد الماء للصلاة، فاكبّ الموجوهرات، ثم أدلى دلوه مرة أخرى، وأخرجه فكان كالاولى مليء بالموجوهرات، فالقاه ثانية، وللمرأة الثالثة كان كالسابق، فرفع رأسه إلى السماء وقال: يا رب عبدك الأردبيلي يريد منك الماء ليتوضأ لصلاته، وللقاءك (الصلاة معراج المؤمن وقربان كل تقي) وإذا به يسمع هاتفاً بين السماء والأرض؛ ان كنت تبغي ذلك، فلما ذا لم تعجّل إلى لقاء الحبيب عند سماع ندائه ودعوته بأذان المؤذن؟! فاذا تريد الدنيا ولو بخيط، فخذ هذه الموجوهرات والذهب.

فبكى المقدس وتاب إلى ربه (فان حسنات الابرار سيئتات المقربين)، ثم أدلى دلوه فخرج الماء، فتوضأ وصلّى.

وفي يوم من الأيام يمرّ في زقاق فيسمع من خربة عبداً يناجي ربه ويحمده ويقول: (الحمد لله الذي لم يجعلني ملكاً، الحمد لله الذي لم يجعلني تاجراً، الحمد لله الذي لم يجعلني المقدس الأردبيلي) فماسمع المقدس ذلك، إلّا وتكهرب، فتعجب واستغرب، فدخل إليه مندهشاً، واستفسر عن مقولته، وقال له: أما حمدك لله ان لم يجعلك ملكاً، فإن ذلك من باب (الملوك إذا دخلوا قرية افسدوها) واما لم تكن تاجراً فربما ذلك من باب (التاجر فاجر إن لم يتفقه) واما لما ذا لم يجعلك المقدس الأردبيلي والناس يستشفون ويتبركون بماء وضوئه؟!

فقال وهو لا يعرفه: أسألك يا هذا، هل كان مع المقدس في كرامة وضوئه غيره؟ فقال الاردبيلي: لا، إنما كان وحده.

فقال: إذن من أخبر الناس بهذه الكرامة؟! أليس هو الذي أخبر فأنتشر الخبر؟!

فتفطن المقدس وعلم السرّ في مناجاته وحمده لربه، وعرف أن هذا العبد من عباد الله المخلصين، وأراد الله سبحانه ان يؤدّبه ويربّيه، أن يتعلّم من عبده درساً في الإخلاص، فإنّ النّاس كلّهم هلكى إلّا العلماء، والعلماء كذلك إلّا العاملون، والعاملون هلكي إلّا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم، فان الرياء في العمل كدبيبة نملة سوداء على صخرة صلدا في ليلة ظلماء، فمن يحسّ بدبيبها ومشيتها؟!! لا يكون ذلك إلّا لمن عصمه الله، والأوحدي من النّاس.

الحكاية الثانية:

وقال رفع الله مقامه أيضاً: أنه دار خلاف بين الاستاد وتلميذه، بين العلامة المجلسي والسيد نعمة الله الجزائري رحمه الله، وكان الخلاف في سلوكهما، فان السيد قد زهد في دنياه، بينما العلامة كان يحضر مجلس الملك وكان شيخ الاسلام في إيران، يخرج من بيته إلى المسجد في موكب بهي راكباً فرسه ومن حوله مر يديه وتلامذته، والسيد يرى ذلك يتنافي مع زهد الاسلام، بينما العلامة يرى ذلك فيه أراءة عزّة الإسلام، ولم يقتنع كلّ واحد برأي الآخر، فاتفقا على أنه كل من مات أولاً، يخبر صاحبه بما جرى عليه بعد الموت، وأنه الحق مع من؟

فمات العلامة أولاً، وكان السيد يأتي قبره زائراً لمدة سنة، وبعدها طالبه بالوعد والوفاء به، فأخذته السِّنة والغفوة، فرأى أُستاذه العلامة، فطالبه بان يخبره بما جرى، وما هي الحقيقة؟

فأخبره العلامة أنه: كنتُ في فراش الموت والاحتضار، فدخل عليّ شخص ـ وهو ملك الموت ـ شعرت بالارتياح إليه، فسأل عن صحتي وقال: هل تريد أن أدفع عنك الآلام والأوجاع؟ فقلت: بلى والله، فأخذ يمرر يده على رجلي أولاً،

فأحسست بذهاب الآلم منها، فقلت له: أُمرر يدك على جسدي حتى يهذب الألم كلّه، ففعل ذلك، وما أن وصل إلى رقبتي إلّا ورأيت قد زال الوجع كـلّه. إلّا انـه خرجت من جسدي، وصارت جثّة هامدة. ومن كان حولي يبكي ويقول: (مات المجلسي) وانا أقول بل أشعر بالحياة الآن ولكن لم يلتفت إليّ أحد من الحضور، ثم رفعوا جنازتي، وعند ما وضعوني في لحدي هذا الشخص الذي كـان مـعي يرافقني دفعني إلى حفرتي، ثم بعد الدفن وذهاب الناس، بقيت وحيداً في بيت غربتي، فجائني الملكان منكر ونكير يسألاني عن أُصول ديني: من ربك؟ مـن نبيك؟ من إمامك؟ وهكذا وأنا أجبت الاسئلة كلّها، وبعد الانتهاء سمعت صـوتاً من مصدر الجلالة قائلاً: أين هديتنا؟

لا يخفى أنه ورد في الاحاديث أن ثمانية يطالبون بالهدية عند موت الانسان وانتقاله من دار الدنيا إلى دار الآخرة، لان الدنيا دار ممرّ ودار سـفر، والمسـافر يستحب له أن يذكر أهله بـهدية، تسـمى فـي المـصطلح العـراقـي والايـرانـي (سوغات) فالأهل ينتظرون من مسافرهم الهدية والسوغات، والعلامة من أهل الله، فسأله الله عن هديته، يقول المجلسي ﷺ ـ: فقلت: كـتبت (بـحار الأنـوار) موسوعة كبرى (ماة وعشر مجلدات) جامعاً لآحاديث أهل البيت ﷺ.

يقول: سمعت الخطاب الإلهي جلّ جلاله: هل كتبه من دون إسم المجلسي ـ أي خالصاً مخلصاً لنا ـ فترددت في أمري، فان الله مطلع على السرائر فسكت، فجاء الخطاب مرة أخرى: ما هي هديتنا أيها المجلسي؟ فقلت: صلاة الجماعة، فقال: من دون قيد المجلسي؟ فسكت مرة أخرى، فسأل عن الهدية وأنا اذكـر أعمالي واحدة تلو الأُخرى ويأتي الخطاب (من دون المجلسي) وأنا مـتحير لا أدري ما ذا أقول، فكان لسان حاله انذاك:

وفدت على الكريم بغير زاد من الحسنات والقلب السليم

فحمل الزاد أقبح كل شيء إذا كان الوفود على الكريم

يقول: فسمعت الخطاب يقول: نعم لك عندنا عمل من دون قيد واسم المجلسي، قبلناه منك هديةً. وذلك أنك في يوم من الأيّام بذلك الموكب البهيّ خرجت من دارك، وفي الطريق رأيت شباباً قد إحتوشوا شخصاً يضربونه، فنزلت من الفرس بكل تواضع، ولم تفكر بمقامك ومرجعيتك بين الناس بل دخلت في المعمة وسألت عن الموضوع، فأخبروك أنّ الشباب يطالبون هذا الشخص فإنّه مديون لهولاء مالاً فيطالبون بدينهم، وهو يبكي ويقول ليس عندي مالاً حتى أدفعه اليكم، فدعوت الشباب إلى دارك، وأعطيتهم ديونهم وابرءت ذمّة المديون قربة إلى الله تعالى، فهذا كان لنا خالصاً من دون قيد المجلسي فقبلناه منك هديةً، إذ جعلت جاهك وهيبتك وجلالك لنا خالصاً، فعرف السيد الجزائري مغزىٰ كلامه، وأن العمدة هو الاخلاص في العمل والسلوك والنوايا، سواء أكان في الزهد أو الجاه والجلالة، وإن هذا من الصعب المستصعب.

ومن ثمّ ورد في الخبر الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام:

«هلك العاملون إلّا العابدون، وهلك العابدون إلّا العالمون، وهلك العالمون إلّا الصادقون، وهلك الصادقون إلّا المخلصون، وهلك المخلصون إلّا المتقون، وهلك المتقون إلّا الموقنون، وان الموقنين لعلى خطر عظيم».

قال الله لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾[1].

---

(١) الحجر: ٩٩.

وأدنى حدّ الاخلاص بذل العبد طاقته، ثم لا يجعل لعمله عند الله قدراً، فيوجب به على ربّه مكافاة بعمله لعلمه أنه لو طالبه بوفاء حق العبودية لعجز، وأدنى مقام المخلص في الدنيا السلامة من جميع الآثام، وفي الآخرة النجاة من النار، والفوز بالجنة)[1].

أقول: إن الدنيا دار العمل والتضّاد والتزاحم، فيها النور والظّلام، و تمام الخير وهو التوحيد، وتمام الشرّ وهو الشّرك، وفيها الإخلاص والرياء، وجنود العقل وجيود الجهل، والسعادة والشقاء، والهلاك والنجاة، وإنّ الله خلق الانسان العظيم ذلك الكائن الذي لا يزال مجهولاً، ولم يعرف نفسه، فلم يعرف ربّه حق معرفته، فخلقه حرّاً ومختاراً، وهداه النجدين، وآراه الطريقين: طريق الحق وطريق الباطل، والأول طريق الجنة والسعادة والنور والهداية وطريق الرحمن، والثاني طريق النار والشقاء والظلام والظلال، وطريق الشيطان، فإما شاكراً لِنعم الله مطيعاً لأوامره ومخلصاً في عباداته، وإمّا كفوراً بآيات الله، عاصياً وآثماً.

والمقصود من خلقة الجن والانس العبادة، وإنه يعبد ربّه حتى يأتيه اليقين، بان يصل إلى درجة الموقنين وحتى يأتيه الموت الذي من اليقين الثابت، فالناس في دنياهم كلّهم هلكي فانهم يتبعون أهوائهم، فاتخذوها إلهاً، أو عبدوا أصناماً أو أشركوا بالله سبحانه، أو فعلوا المعاصي والآثام والقبائح والرذائل حتى إسودّت قلوبهم فانتسكت، فلم تستقبل قبول الرحمة الإلهية الواسعة، فضّلوا وأضلّوا، وكان مصيرهم النار والعذاب.

---

(١) البحار: ٦٧: ٢٤٥ عن مصباح الشريعة: ٥٢ و٥٣.

فهلك من هلك عن بيّنة ، وهلك الناس إلّا العاملون ، فان الله يريد من عبده العمل الصالح ، وهلك العاملون إلّا من كان عابداً لله سبحانه ، متقرّباً إلى الله بعمله ، وهلك العابدون إلّا من كان عالماً ، فان الجاهل العابد المتنسك لا قيمة لعبادته ، بل قال أميرالمؤمنين علي عليه السلام : « قصم ظهري إثنان عالم متهتك لا يعمل بعلمه ، وجاهل متنسك يعبدالله عن جهل) وركعتان من العالم أفضل من عبادة سنة من الجاهل ، فالعابد هالك إلّا من كان عالماً ، وهلك العالمون إلّا من كان صادقاً في قوله وفعله ، وظاهره وباطنه ، صادقاً في علمه وعمله ، فان الصدق نور ، ومن صفات الله سبحانه ، فمن كان عاملاً عابداً عالماً صادقاً نجا ، بل هلك الصادقون أيضاً (إلّا من كان مخلصاً منهم فربما يكون صادقاً من دون إخلاص ، ثم هلك المخلصون فان الاخلاص فيه الخطر العظيم ، فهلك من هلك من المخلصين إلّا من كان متّقياً ، لا يراه الله فيما نهاه ، ولا يفقده فيما أمره ، وللتقوى درجات ، فان حسنات الأبرار سيئات المقربين ، فهلك المتقون أيضاً ، فان الدنيا في حرامها عقاب ، وفي الشبهات عتاب ، وفي الحلال حساب ، فهلك من هلك إلّا الموقنون اولئك الذين وصلوا إلى درجة اليقين ومراتبه من علمه وعينه وحقّه ، وكلّ هذا والموقنون على خطر عظيم ؟!! و العظيم في لغة القرآن والحديث الشريف ما كان خارجاً عن توهّم وتصور البشر ، فما هو الخطر العظيم المحدق بالموقنين ؟ ! ربّنا أعنّا على أنفسنا إنك أرحم الراحمين .

بحار الأنوار : بسنده عن جابر الجعفي رفعه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : خرج ثلاث نفر يسيحون في الأرض ، فبيناهم يعبدون الله في كهف في قُلّة جبل ، حتى بدّت صخرة من أعلى الجبل ـ اى سقطت صخرة ـ حتى التقمت باب الكهف ـ فأغلقته ـ .

فقال بعضهم لبعض: عباد الله والله ما ينجيكم ممّا وقعتم، إلّا ان تصدقوا الله، فهلّم ما عملتم لله خالصاً، فإنّما ابتليتم بالذنوب ـ يعني هذا البلاء نزل علينا من أثر ذنوبنا. فلنذكر من عمالنا ما كان خالصاً لله عسى أن يرحمنا الله ويرفع عنّا الصخرة ونخرج من الكهف سالمين.

فقال أحدهم: اللهمّ إن كنت تعلم أني طلبت امرأة لحسنها جمالها، فأعطيت فيها مالاً ضخماً حتى إذا قدرت عليها، وجلست منها مجلس الرّجل من المرأة، ذكرت النار فقمت عنها فَرِقاً منك ـ اى خوفاً منك ـ اللّهم فادفع عنّا هذه الصخرة، فانصدعت حتى نظروا إلى الصدع ـ اى تحركت من مكانها أو انفطرت وبان ذلك على الصخرة فدلّ هذا على صدق قوله ـ

ثم قال الآخر: اللّهم إن كنت تعلم أني أستأجرت قوماً يحرثون كلّ رجل منهم بنصف درهم، فلمّا فرغوا أعطيتهم أجورهم، فقال أحدهم: قد عملت عمل إثنين. والله لا آخذ الّا درهماً واحداً، وترك ماله عندي، فبذرت بذلك النصف الدّرهم في الأرض، فأخرج الله من ذلك رزقاً، وجاء صاحب النصف الدرهم فأراده، فرفعت إليه ثمان عشرة آلاف درهماً، فان كنت تعلم إنّما فعلته مخافة منك، فادفع عنّا هذه الصخرة، قال: فانفجرت عنهم حتى نظر بعضهم بعضاً.

ثم إن الآخر قال: اللّهم إن كنت تعلم أن أبي وأميّ كانا نائمين فأتيتهما بقعب من لبن فخفت ـ أن أضعه ـ أن تمجّ فيه ها مّة ـ أي يدخل فيه حيوان كالحشرات فيمجّ اللبن ـ وكرهت أن أوقظهما من نومها فيشق ذلك عليهما، فلم أزل كذلك حتى استيقظا فشربا، اللّهم إن كنت تعلم أني كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ـ اي خالصاً لله ـ فادفع عنّا هذه الصخرة، فانفجرت لهم طريقهم.

ثم قال النبي صلى الله عليه وآله: من صدق الله نجا[١].

أقول: هذه الرواية تذكرنا بقصة العلامة المجلسي وهديته لله سبحانه، وكأنه لو كان للمؤمن عملاً واحداً خالصاً ومخلصاً. فانه تنجيه وتسعده، وتفتح عليه أبواب الفرج والعافية في الدنيا والآخرة.

ومفتاح كل هذا هو حبّ الله جل جلاله، وقد ورد في الحديث القدسي عن الله سبحانه وتعالى، أنّه: لو علمت من قلب عبدي المؤمن أنه يريدني ـ اى يقصدني في عمله ويحبّني بقلبه ـ لفتحت عليه أبواب السموات والأرض.

ولمثل هذا فليعمل العاملون، وليتنافس المتنافسون، فانه لا يلقّاها إلّا ذو حظّ عظيم.

اللهم بمحمد وآله نسألك كلّ هذه المقامات خالصاً لك وحدك، لا لأنفسنا وحظوظنا وأنانيتنا، كفى بي عزّاً أن أكون لك عبداً، وكفى بي فخراً ان تكون لي ربّاً، أنت كما أحبّ فاجعلني كما تحب، آمين ربّ المخلصين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) البحار: ٦٧: ٢٤٤ ـ ٢٤٥.

إنّما الأعمال بالنيّات

إعلم أنّ من الثوابت في: الشريعة الإلهيّة بصورة عامة، ولا سيما في الشريعة الإسلامية أن المقصود من خلقة الانسان هو تكامله وبلوغه قمة الكمال، وذلك بوصوله إلى السعادة الأبدية، والفناء في إرادة الله والبقاء به، ولا يتم ذلك إلّا بالرحمة، وبالعلم والعبادة ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

ثم الناس كلهم هلكى إلّا العالمون، والعالمون كلهم هلكي إلّا العاملون، والعاملون كلهم هلكى إلّا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم.

« فالعمل بغير نية تعب وعناء، والنية بغير إخلاص سمعة ورياء، والرياء من النفاق ومع العصيان سواء، والإخلاص من غير صدق وحقيقة هباء.

وقد قال الله سبحانه في كل عمل يشوبه الرياء وإرادة غير الله سبحانه ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُوراً﴾[2].

وليت شعري كيف يصحح النية من لا يعرف حقيقة النية ؟ أو كيف يخلص من صحّح النية إذا لم يعرف حقيقة الإخلاص ؟

فالوظيفة الأولى على كل عبد أراد إطاعة الله تعالى أن يتعلّم النية أولاً،

---

(١) ذاريات: ٥٦.

(٢) فرقان: ٢٣.

لتحصل المعرفة المطلوبة، ثم يصحّحها بالعمل بعد فهم حقيقة الصدق والاخلاص، فإنهما وسيلتان للعبد إلى النجاة والخلاص.

أما النية ومعرفة فضيلتها وحقيقتها:

فقد قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[1] والمراد بتلك الارادة هي النية.

وقال النبي صلى الله عليه وآله في حديث متواتر: (إنّما الاعمال بالنيّات ولكل إمرءٍ ما نوى، فمن كانت هجرته اى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى الدنيا يصيبها، أو أمرأة يتزوّجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه)[2].

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: (لا عمل إلّا بنية).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: نيّة المؤمن خير من عمله، ونيّة الكافر شرّ من عمله، وكل عامل يعمل على نيّته).

وعنه عليه السلام: (إنّه سئل عن حدّ العبادة التي إذا فعلها فاعلها كان مؤدّياً؟ فقال: حسن النية بالطاعة.

ومن جوامع الأحاديث عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (إنّما خلّد أهل النار في النار، لان نيّاتهم كانت في الدنيا أن لو خلّدوا فيها أن يعصوا الله تعالى أبداً، وإنّما خلّد أهل الجنة في الجنة لان نياتهم كانت في الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً، فبالنيات خلّد هؤلاء وهؤلاء، ثم تلا قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ قال: يعني على نيّته[3].

---

(١) الأنعام: ٥٢.

(٢) المحجة البيضاء: ٨: ١٠٢ عن البخاري: ١: ٢٢.

(٣) المحجة عن الكافي: ٢: ٨٥.

واما حقيقة النيّة : فان النية والارادة والقصد عبارات شتى بمعنى واحد ، وهو يتعلق بالقلب ، وهو عبارة عن الميل القلبي نحو المراد ، وتتحقق الارادة بمقدمات معروفة ، من تصوّر الفعل ، والتصديق بالفائدة ، والشوق ، ثم الشوق المؤكد المحرّك للعضلات .

وقيل : النية هي صفة وحالة للقلب تتكون من أمرين : علم وعمل .

فالعلم يتقدم على العمل ، لانه أصله وشرطه ، والعمل يتبعه ، لانه ثمرته وفرعه . لان كل عمل اختياري للانسان لا يتمّ إلّا بثلاثة أُمور : علم وارادة ، وقدرة ، فانه لا يريد ما لم يعلمه ، فان السعي وراء أمر مجهول قبيح ، فلابد أن يعلم ، ولا يعمل مالم يرد ، فلابد حينئذٍ بعد العلم من إرادة ، ومعنى الارادة إنبعاث القلب ما يراه موافقاً للغرض المقصود ، أما في الحال أو في المآل ، فان الانسان خلق بنحو يلائمه بعض الأُمور ويخالفه البعض الآخر ، فامتلك قوتي الشهوة والغضب ، أو الجاذبيّة والدافعيّة ، ليجلب المنافع لنفسه . ويدفع المضار عنها ، فلابد حينئذٍ من معرفة وإدراك للشيء النافع والمضرّ حتى يطلب ويهرب ، أو يجذب ويدفع ، فمن لا يبصر النار لا يهرب منه ، ومن لا يدرك الأكل لا يطلبه ، فخلق الله الهداية والمعرفة ، وجعل لها أسباباً وعوامل وهي الحواس الظاهرة الخمس (الباصرة والسامعة والذائقة والشامة واللامسة) والحواس الباطنة الخمس (الحس المشترك والحافظة والمتخيلة والمتصرفة والعاقلة) .

ثم لو أدرك الغذاء والأكل وعرف الموافق له ، لابد له من ميل قلبي نحوه ، والآفإنّ المريض يدرك ذلك ويعرف فائدته ، إلّا انه لا يرغب إليه ، ومن ثم خلق الله في القلب نزوعاً وميلاً نحو المراد ، ثم لابد من قدرة على ذلك ، وإلّا فكم من

يريد شيئاً ولا يقدر عليه، فلم يتحقق المراد، فخلق الله القدرة وأسبابها ومحلّها من الامضاء، فتكون الارادة ذات الشوق تحرك العضلات نحو المراد. فالقدرة تخدم الارادة، والارادة تابعة للعلم والمعرفة.

فالنية: عبارة عن الصفة المتوسطة وهي الإرادة وإنبعاث النفس بحكم الرغبة والميل إلى ما هو موافق للغرض إما في الحال أو في المآل... فالانبعاث القلبي هو القصد والنيّة، وانتهاض القدرة لخدمة الارادة بتحريك الأعضاء هو العمل..[1]. ثم ينقسم العمل بإعتبار البواعث إلى أربعة اقسام:

١ ـ الخالص في الباعث: كمن يهرب من الأسد خوفاً منه فقط.

٢ ـ وموافقة البواعث: كالصدقة على الفقير القريب.

٣ ـ ومشاركة البواعث: كالتصدق للثواب والثناء من الناس.

٤ ـ والمعاونة في البواعث: كمن كان من عادته التصدق واتفق أن رأه آخر ممّا يخفف عليه إعطاء الصدقة.

ولا يخفى أن العمل تابع للباعث عليه، فكيشف الحكم منه، فلذلك قيل: (إنّما الأعمال بالنيات) لان النية تابعة، لا حُكم لها في نفسها، وإنّما الحكم للمتبوع.

ثم أفعال الانسان وأعماله وان كانت بحسب النوع كثيرة من فعل وقول وحزكة وسكون ونفع وضرر ودفع ورفع وفكر و ذكر، وغير ذلك، إلّا أن أمهات الاعمال ثلاث: المعاصي والطاعات والمباحات.

---

(١) المحجة البيضاء: ٨: ١٠٧ وللبحث صلة وتقسيمات للعمل فراجع.

اما القسم الأوّل: المعاصي فانها لا تتغير موضوعاتها بالنية، فلا يدخل تحت عموم (إنّما الأعمال بالنيات) بل هي خارجة عنه تخصصاً وموضوعاً، فلا تتقلب المعصية بالنية إلى الطاعة، كأن يغتاب شخصاً رعاية لقلب ومشاعر غيره، أو يسرق خبزاً ويتصدق به على الفقراء، ملتبساً عليه ان من جاء بالسيئة فله مثلها، ولكن من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، فيسقط السئية الواحدة وهي السرقة، ويكون هو الرابح بتسع حسنات، فهذا من تلبيس إبليس، فانه لا يطاع الله من حيث يعصى، وإنّما يتقبل الله من المتّقين. فالنية لا تؤثر في إخراجها عن كونها حراماً وظلماً ومعصية، فهذا من الجهل المركب، اي الجهل بالجهل وهو أشدّ من الجهل، إذ يسدّ باب التعلّم، ورأس العلم، العلم بالعلم، كما ان رأس الجهل الجهل بالجهل، فمن قصد الخير بمعصية عن جهل فهو غير معذور ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[1].

وربما الشيطان يزين للجاهل عمله، فيدخل معاصيه في عموم (إنّما الاعمال بالنيات) فيتذرع في إرتكاب المعاصي أنه يحسن النية وأراد بها الخير، فهذا من تسويلات الشيطان الرجيم.

فالأعمال بالنيات تختص بالطاعات والمباحات دون المعاصي، فان الطاعة ربما تنقلب معصية بالقصد والنية وكذلك المباح، كما ينقلب إلى الطاعة بالقصد والنية أيضاً.

فالطاعات مرتبطة بالنيات في أصل صحتها، وفي تضاعف فضلها، فالأصل

(١) النحل: ٤٣.

أن ينوي بذلك عبادة الله والتقرب إليه، فان نوى الرياء صارت معصية، وأما تضاعف الفضل والأجر والثواب فيكثر النيات الحسنات، وان لم يفعل، فنية المؤمن خير من عمله، لما فيها من الإخلاص، كما ان النية بنفسها عمل من الاعمال الطيبة ومن مصاديق الخير، فان للنية أثر بليغ في القرب من الله سبحانه.

قال الإمام الصادق في تفسير (نيّة المؤمن خير من عمله): لان العمل رياء المخلوقين، والنية خالصة لربّ العالمين، فيعطى الله عزوجل على النية مالا يعطي على العمل)[1].

وأما المباحات فانها تصير من محاسن القربات لو نوى بها العامل التقرب إلى الله سبحانه، ومن ثم اشتهر عن العلامة الحلي أنه قال ما عملت خلال ثلاثين سنة إلّا الواجب أو المستحب، فهذا يعني ان جميع مباحاته نوى بها لله سبحانه فصارت من المندوبات والمستحبّات.

ومن كان مستيقظاً ـ واليقضة أول منازل العارفين ـ فلا يفوته الثواب في كل حركاته وسكناته، فانه يعلّم كما ورد في الخبر الشريف: (الدنيا في حرامها عقاب، وفي الشبهات عتاب، وفي الحلال حساب) فينوى بالحلال التقرب إلى ربّه، فيبدله إلى الثواب، فمن تطيّب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك. ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة، ولا يخفى إنّ إستعمال الطيب من المباحات، إلّا أنه لا بد فيه من نيّة لله أو لغيره، كان يتطيب للتفاخر، أو رياء الخلق، أو ليتودد في قلوب النساء الأجنبيات، أو لإمور أخرى

(١) المحجة: ٨: ١١٠ عن علل الشرايع.

مما يجعل التطيب من المعصية، وبذلك يكون أنتن من الجيفة في القيامة، لا بالقصد الاولى وهو التلذذ والتنعم، فان ذلك ليس بمعصية، إلّا انه من الحلال الذي يناقش ويحاسب عنه يوم القيامة، (ومن نوقش في الحساب عذّب) ومن أتى بالمباحات يوم القيامة، فانه وان لم يعذب ولكن يتحسّر عليها، فانه كان بإمكانه ان يجعلها مما تزيد من نعيم الآخرة، وناهيك خسراناً أن يخسر زيادة النعيم، فتدبر فان الدنيا مزرعة الآخرة، ومتجر أولياء الله، فلا ينفع مال ولا بنون، إلّا من أتى الله بقلب سليم، يملأه النيات الحسنة والقصود الصالحة.

ثم لا يخفى ان النية ليس أن يقول باللسان نويت لله كذا وكذا، ولكن في قلبه وواقعه لم يكن قاصداً بذلك التقرب إلى الله سبحانه، فان حقيقة النية ـ كما ذكرنا ـ إنبعاث النفس وتوجّهها وميلها إلى ما ظهر لها أنّ فيه غرضها إما عاجلاً أو آجلاً، والميل إذا لم يمكن لا يمكن إختراعه واكتسابه بمجرّد الإرادة، بل ذلك كقول الشبعان: نويت أن أشتهي الطعام وأميل إليه..[1]. فالنية إجابة الباعث القلبي ولولا ذلك فما يقوله بلسانه (نويت ان أفعل كذا مثلاً) فهذا من حديث النفس، أو لقلقة اللّسان، أو فكرة وانتقال من خاطر إلى قاصر، والنية حقيقة بمعزلٍ عن جميع ذلك.

روى البرقي باسناده عن الإمام الصادق عليه السلام: آنه أتاه مولى له، فسلّم عليه وجلس، فلما إنصرف عليه السلام إنصرف معه الرّجل، فلما انتهى إلى باب داره، دخل وترك الرّجل فقال له إبنه اسماعيل: يا أبه إلّا كنت عرضت عليه الدخول؟ فقال:

(١) الحجة: ٨: ١٢١.

لم يكن من شأني إدخاله، قال: فهو لم يكن يدخل، قال: يا بنيّ إنّي أكره أن يكتبني الله عرّاضاً)[1].

فالنية يتبع النظر، فاذا تغيّر النظر تغيّرت النية، فلا يتحقق حقيقة العمل الّا بالنية، فان النية روح الأعمال، والعمل بغير نيّة صادقة رياء وتكلّف، وهو سبب مقت لا سبب قرب ـ فالنية ليست باللسان، إنّما انبعاث القلب، فمن غلب عليه أمر الدين يسهل عليه نوايا الخيرات، ومن غلب عليه أمر الدنيا، غلبت عليه نوايا الدنيا ومال قلبه إليها، فتدبّر.

(١) المحجة: ٨: ١٢٢ عن المحاسن: ٤١٧.

حقيقة الإخلاص

إعلم أنّ كل شيء يتصور أن يشوبه غيره، فيختلط الأصيل بالبديل، فإذا صفا عن شوبه: ورجع إلى أصله، وخلص عنه ما ليس منه، سمّى ذلك خالصاً، وسمّى الفعل المصفّىٰ المخلص إخلاصاً، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُم مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ﴾ فاللّبن الخالص ان لا يكون فيه شوب من الدّم والفرث، ومن كل ما يمكن أن يمتزج به كالماء.

ثم الإخلاص في العبادات يضادّه الإشراك، كالرياء والسمعة وحبّ الإطراء والعجب وغير ذلك من الشوائب الدنيوية، فكل ذلك من الشرك الخفي.

فالإخلاص وضده الشرك الخفي اي الرياء يتواردان على القلب، فمحلّهما القلب، وإنّما يكون ذلك في القصود والنيّات، ومرّ علينا حقيقة النية وإنها ترجع إلى إجابة البواعث القلبيّة، فمهما كان الباعث واحداً مجرّداً سمّى الفعل الصادر عنه إخلاصاً بالإضافة إلى المنوي.

فمن تصدّق على الفقراء وغرضه ونيته محض الرياء فهو مخلص في الرياء، ومن كان غرضه محض التقرب إلى الله فهو مخلص في التقرب، إلّا ان المتعارف

عليه في الاخلاق والعرفان كمصطلح وكذلك في القرآن والأحاديث الشريفة، أنّ الإخلاص وضع للعمل المخلص لله سبحانه، لا يشوبه أي شيء من الشوائب، ولو كان كدبيبة نملة سوداء على صخرة صلداء في ليلة ظلماء.

ولا شك ان الرياء من المهلكات كما سنذكر إنشاء الله تعالى ذلك.

واما الاخلاص، فانه سر من أسرار الله لا يستودع في قلب إلّا إذا أحبّه الله سبحانه، وإنّه من أفضل الفضائل، بل ممّا يُحصّن الإنسان من أن يستلّط عليه الشيطان، فإنه قلعة حصينة، من دخلها كان آمناً في الدنيا والآخرة، وما أكثر النصوص من الآيات القرانية والأحاديث النبوية والولديّة ـ المنسوبة إلى أولياء الله ـ الدالّة على فضيلة الإخلاص وعلوّ درجته ورفعة منزلته.

من طرائف الحكايات: أنّ عابداً كان يعبدالله دهراً طويلاً، فجاءه قوم فقالوا: إنّ ههنا قوماً يعبدون شجرة من دون الله تعالى، فغضب لذلك، فأخذ فاسه على عاتقه. وقصد الشجرة ليقطعها، فاستقبله إبليس في صورة شيخ فقال: أين تريد رحمك الله قال: أريد أن أقطع هذه الشجرة قال: وما أنت وذاك، تركت عبادتك واشتغالك بنفسك وتفرغّت لغير ذلك، فقال: ان هذا من عبادتي، قال: فإنّي لا أتركك أن تقطعها، فقاتله فأخذه العابد وطرحه على الأرض وقعد على صدره، فقال له: إبليس أطلقني حتى أكلّمك فقام عنه، فقال له: إبليس يا هذا إن الله عزوجل قد أسقط عنك هذا ولم يفرضه عليك وما تعبدها أنت، وما عليك من غيرك، ولله تعالى أنبياء في الأرض ولو شاء لبعثهم إلى أهلها، وأمرهم بقطعها، ـ وهذا يعني أن تسويلات الشيطان تارة من جهة الدين لضرب الدين وقمعه، فلا تغفل، فانه يسوسوس لنا كذلك في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كان

يقول: هذا من تكليف العلماء، أو تكليف الدولة، فلما ذا تورّط نفسك، وتدخل فيما لا يعنيك وهكذا ـ.

قال العابد: لابدّ من قطعها، فنابذه للقتال، فغلبه العابد وصرعه وقعد على صدره، فعجز إبليس فقال: هل لك في أمر فصل بيني وبينك وهو خير لك وأنفع، قال: وما هو؟

قال: أطلقني حتى أقول لك، فأطلقه، فقال له إبليس: انت رجل فقير لا شيء لك، إنّما أنت كلٌّ على النّاس، يعولونك، ولعلّك تحبّ أن تتفضّل على إخوانك وتواصي جيرانك وتشبع وتستغني عن الناس؟ ـ اي جاءه من نقطة ضعفه وهو الفقر، ثمّ لبّس ذلك بلباس الفضيلة والحق والخير بالتصدّق على الأخرين، فجاءه أيضاً من طريق الدين لضرب الدّين، وهذا من أخطر مخادع الشيطان لا يقف عليه الّا الأوحدي من الناس ـ

قال العابد: نعم.

قال إبليس اللعين المكّار المخادع: فارجع عن هذا الأمر ـ اي أترك هذا الأمر ـ ولك عليّ ان أجعل عند رأسك في كلّ ليلة دينارين إذا أصبحت أخذتهما فأنفقتهما على نفسك وعيالك، وتصدّقت على إخوانك فيكون ذلك أنفع لك وللمسلمين مع قطع هذه الشجرة التي تغرس، ولا يضرّهم قطعها شيئاً، ولا ينفع إخوانك المؤمنين قطعك إيّاه ـ هذا كلّه من تسويلات إبليس اللعين ـ فتفكر العابد فيما قال، وقال: صدق الشيخ لست بنبيّ فيلزمني قطع هذه الشجرة، ولا أمرني الله ان أقطعها فأكون عاصياً بتركها، وما ذكره أكثر منفعة، فعاهده على الوفاء بذلك وحلف له، فرجع العابد إلى متعبّده، فبات فلّما أصبح رأى دينارين عند رأسه،

فأخذهما، وكذلك من الغد، ثم أصبح اليوم الثالث وما بعده فلم يجد شيئاً، فغضب وأخذ فأسه على عاتقه، فإستقبله إبليس في صورة الشيخ، فقال له: إلى أين؟ فقال: أقطع تلك الشجرة فقال: كذبت والله ما أنت بقادر على ذلك، ولا سبيل لك إليها، فتناوله العابد ليأخذه كما فعل أوّل مرّة، فقال: هيهات فأخذه ابليس وصرعه، فإذا هو كالعصفور بين يديه ورجليه، وقعد إبليس على صدره فقال لتنتهينّ عن هذا الأمر أو لأقتلنك، فنظر العابد، فإذا لا طاقة له به، فقال: يا هذا غلبتني فخلّ عنّي وأخبرني كيف غلبتك أوّلاً وغلبتني الآن، فقال: لأنك غضبت لله تعالى أوّل مرّة، وكانت نيتك الآخرة، فسخرني الله لك، وهذه الكرّة غضبت لنفسك وللدنيا فصرعتك».

انتهت حكاية العابد وإبليس، ولكن ياترى اما يحدث ذلك لنا في كل يوم ولمرآت عديدة؟! أليس ابليس أقسم بعزة الله أن يغوى العباد كلهم إلّا من كان عبداً مخلصاً لله ـ بفتح اللام في المخلص وهو الذي أخلص لله وطوى مراحل الاخلاص حتى أخلصه الله فصار مخلصاً ـ اسم مفعول من الاخلاص ـ

ثم هذه الحكاية هي مصداق وتصديق لقوله تعالى حكاية عن إبليس الرجيم ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[1] فانه لا يتخلص العبد من الشيطان إلّا بالاخلاص، كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام بالاخلاص يكون الخلاص، فيانفس أخلص تخلصي، وما أخلص العبد الايمان بالله عزوجل أربعين يوماً، إلّا زهدّه الله في الدّنيا، وبصّره داءها ودواءها، فأثبت الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه.

---

(١) الحجر: ٣٩ ـ ٤٠.

أمثلة في شوب الأعمال بالرياء

إن الأمثلة في أي موضوع ولا سيما لو كان دقيقاً ويصعب فهمه وإدراكه، من الأساليب والطرق التعليمية والتربويّة فان المثال يلعب دوراً في فهم المطلب واستيعابه، فإنها تقرب المعاني الدقيقة ولا سيما لعامة النّاس، ومن هذا المنطق نجد القرآن الكريم يضرب للناس مثلاً لعلهم يتذكرون ويعقلون، وكذلك تضرب الأمثال في الأخبار والأحاديث الشريفة، وفي كل العلوم والفنون، ولمعرفة الرياء والاخلاص أشار الغزالي في إحيائه، والفيض الكاشاني في محجّته، إلى أمثلة عديدة، رأيت من الأفضل أن أشير إليها، فقال:

« وإنّما نتكلّم الآن فيمن إنبعث لقصد التقرب ولكن إمتزج بهذا الباعث وهو ـ النيّة ـ باعث آخر إما من الرياء، وإما من غيره من حظوظ النفس.

ومثال ذلك:

١ ـ أن يصوم لينتفع بالحميّة الحاصلة بالصوم مع قصد التقرب. هذا في (الصوم).

٢ ـ أو يعتق عبد ليتخلّص من مؤنته وسوء خلقه (العتق) ـ في يومنا لم يكن عبداً ولكن لمثاله نظائر في حياتنا المعاصرة ـ.

٣ ـ أم يحجّ ليفتح مزاجه بحركة السّفر، أو ليتخلّص من شرّ يعرض له في بلده، أو ليهرب عن عدوّ له في منزله، أو يتبرّم بأهله وولده، أو لشغل هو فيه وأراد أن يستريح عنه أياماً ـ كما يفعله التّاجر المتديّن فضلاً عن غيرهم ـ (الحج)

٤ ـ أو يغزو ليمارس الحرب ويتعلّم أسبابه، ويقدر به على تهيئة العساكر وجرّها (الجهاد).

٥ ـ أو يصلّي بالليل وله غرض في وقع النعاس عن نفسه به، وليراقب رحله وأهله (صلاة الليل).

٦ ـ أو يتعلّم ليسهل عليه طلب ما يكفيه من المال، أو يكون عزيزاً بين العشيرة، أو ليكون عمّاره وأمواله محروسة بعزالعلم عن الاطماع (طلب العلم).

٧ ـ أو اشتغل بالدرس والوعظ ليتخلّص عن كرب الصمت، ويتفرّج بلذّة الحديث (التدريس والوعظ).

٨ ـ أو تكفّل بخدمة العلماء ليكون حرمته وافرة عندهم وعند الناس (خدمة الأكابر) أو لينال به رفقاً في الدنيا.

٩ ـ أو كتب مصحفاً ليجوّد بالمواظبة على اكتسابة خطّه (كتابة المصحف الشريف).

١٠ ـ أو يحجّ ماشياً ليخفف عن نفسه مؤونة الكراء ـ (الحج مشياً).

١١ ـ أو توضّأ ليتنظف ويتبرّد (الوضوء).

١٢ ـ أو إغتسل ليتطيب رائحته ـ (الغسل).

١٣ ـ أو روى الحديث ليعرف بعلوّ الاسناد (رواية الحديث).

١٤ ـ أو اعتكف في المسجد ليخفّ عليه كراء المسكن (الإعتكاف).

١٥ ـ أو صام ليخفّف عن نفسه التردد في طبخ الطعام، أو ليتفرغ لأشغاله فلا يشغله الأكل عنها ـ وفي يومنا هذا ليخفف وزنه ويحافظ على رشاقته وسلامة بدنه ـ (الصوم).

١٦ ـ أو يتصدّق على السائل ليقطع إبرامه في السؤال عن نفسه (التصدّق).

١٧ ـ أو يعود مريضاً ليُعاد إذا مرض ـ أو يشترك في عزاء ليشترك الناس في

عزائه، أو أنه حضر المأتم الذي نصبته لأهل البيت ﷺ، فلابد ان أحضر مأتمه لانه من العيب أن يحضر ولا أحضر، وهذا كثيراً ما يحدث في زماننا هذا ـ ويشيّع جنازة ليشيّع جنائز أهله.

١٨ ـ أو يفعل من ذلك ليعرف بالخير، ويذكر به، وينظر إليه بعين الصلاح والوقار.

فمهما كان باعثه هو التقرب إلى الله عزوجل، ولكن إنضفت إليه خطرة من هذه الخطرات حتى صار العمل عليه أخفّ بسبب هذه الأُمور، فقد خرج عمله عن حدّ الاخلاص، وخرج عن أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى، وتطرق الشرك الخفي إليه، وقد قال تعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشركة».

ونقول تفصيلاً: كلّ حظّ من حظوظ الدنيا تستريح إليه النفس، ويميل إليه القلب، قلّ أم كثُر، إذا تطرق العمل تكدّر به صفوه، وزال به إخلاصه ـ وكان مثل فضلة الفارة إذا وقعت في قدر كبير من الرّز أو المرق فانه يتنجس جميعه ـ والإنسان مرتبط في حظوظه منغمس في شهواته، قلّما ينفكّ فعل من أفعاله، وعبادة من عباداته عن حظوظ واغراض عاجلة من هذه الأجناس، فلذلك قيل: من سلمت له في عمره خطوة واحدة خالصة لوجه الله تعالى نجا ـ كما عرفت في حكاية العلامة المجلسي ﷺ ـ وذلك لعزّة الإخلاص، وعسر تنقية القلب عن هذه الشوائب ـ والمخلصون على خطر عظيم ـ بل الخالص هو الذي لا باعث عليه إلّا طلب القرب في الله تعالى، وهذه الحظوظ ان كانت هي الباعثة وحدها، فلا يخفى شدة الأمر على صاحبها، وإنّما نظرنا فيما إذا كان القصد الأصلي هو التقرب، وانضافت هذه الأُمور وأمثالها إليه.

ثم هذه الشوائب والمخاطر إمّا أن تكون في رتبة الموافقة، أو في رتبة المشاركة، أو في رتبة المعاونة كما سبق في النيّة ـ وإنّما الاخلاص تخليص العمل عن هذه الشوائب والمهالك كلّها، قليلها أو كثيرها، حتى يتجرّد فيه قصد التقرّب ـ حتى من قصد التقرب إذ فيه شائبة الأنانية أيضاً. فالمخلص يعبد الله لانه وحده أهلاً للعبادة. من دون ان يلتفت إلى نفسه أنه يريد بذلك أن يتقرّب إلى ربّه، فتدبّر ـ فلا يكون فيه باعث سواه ـ ولا يرى في الدير ديراً إلّا هو ـ وهذا لا يتصور إلّا من كان محبّاً لله عزوجل. مستغرقاً في حبّه، ولهاً في هواه جل جلاله، وأتى الله بقلب سليم ليس فيه إلّا هو، ومن عليه إسمه، فلم يبق لحب الدنيا وما فيها في قلبه ووجوده قرار، حتى يصل الأمر به لا يحبّ ان يأكل ويشرب، بل تكون رغبته فيه كرغبته في قضاء الحاجة من تخلية ما في بطنه من حيث إنه ضرور كالجبلّة، فلا يشتهي الطعام والشراب والنكاح وكل الشهوات والملاذ لانه حطام وشهوات، بل لانه يقوّيه على عبادة الله، ويتمنى أن لو كفى شرّ الجوع حتى لا يحتاج إلى الأكل، فلا يبقىٰ في قلبه حظّ من الفضول الزائدة على الضرورة، ويكون قدر الضرورة مطلوباً عنده، وبهذا يكون المخلص زاهداً وورعاً ومتقياً. ويجمع جميع الفضائل والمحامد ومرضي الافعال ومقبول الأعمال، ومثل هذا المخلص لو أكل أو شرب أو قضى حاجته كان خالص العمل صحيح النية في جميع حركاته وسكناته، فلو نام مثلاً ليريح نفسه، ليتقوى على العبادة بعده، كان نومه عبادة، وكانت له درجة المخلصين فيه، ومثل هذا النوم أفضل من قيام الليل الذي يشوبه الرياء، ولو بمقدار ذرة، فمن يعمل مثقال ذرّةٍ شراً يره.

فمن لم يكن كذلك فباب الاخلاص في العمل كالمسدود عليه، فمن غلب

على نفسه حبّ الشهوات وحبّ الدنيا والعلوّ والرئاسة والجاه والمال والنساء والتفاخر وغيرها. اكتسبت جميع حركاته الاعتيادية تلك الصفة، فلم تسلم له عباداته من صومه وصلاته وغير ذلك إلّا نادراً ـ والفرد النادر كالمعدوم ـ وإذا غلب عليه حبّ الله وحب الآخرة، فكذلك اكتسبت حركاته الاعتيادية صفة همّه، وصارت إخلاصاً.

ومن ثم يقال: علاج الإخلاص كسر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرّد للآخرة بحيث يغلب على القلب، وعندئذٍ فتيسّر الإخلاص.

وكم من أعمال يتعب الإنسان فيها، ويظنّ أنها خالصة لوجه الله تعالى، ويكون فيها مغروراً، لأنه لا يدري وجه الحظر والآفة فيه، كما حكي عن بعضهم أنه قال: قضيت صلاة ثلاثين سنة كنت صلّيتها في المسجد جماعة في الصف الأوّل، لأني تأخرت يوماً لعذر، وصليت في الصف الثاني، فاعترتني خجلة من النّاس حيث رأوني في الصف الثاني. فعرفت أن نظر الناس إليّ في الصف الأوّل كان يسّرني، وكان سبب استراحة قلبي من ذلك من حيث لا أشعر.

وهذا دقيق غامض، وكدبيبة نملة سوداء في ليلة ظلماء، وقلّما تسلم الأعمال من أمثاله، وقلّ من يتبّه له، والغافلون عنه يرون حسناتهم كلّها في الآخرة سيئات، وهم المقصودون بقوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾[1] ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾[2] و ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[3].

---

(١) الزمر: ٤٧.

(٢) الجاثية: ٣٣.

(٣) الكهف: ١٠٤ ـ ١٠٥.

فلا يعرف مخاطر الرياء إلّا من عرف مكائد الشيطان ووساوسه وتسويلاته وإغوائه، وعرف حيل وخداع النفس الأمارة بالسوء، وطال اشتغاله في مجاهدتها بالجهاد الأكبر، وبامتحانها واختبارها في المواطن الحسّاسة والغامضه.

فمعرفة حقيقة الاخلاص، والعمل بها بحر عميق عميق. يغرق فيه الجميع الجميع، إلّا الشاذ النادر، والفرد العبقري الفذّ، وهو المستثنى في قول الله الكريم سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ والمخلصون على خطر عظيم عظيم.

فليكن العبد شديد التفقّه والمراقبة، والمداقة والمحاسبة لهذه الدّقائق والرّقائق، وإلّا إلتحق بأتباع الشيطان، وكان من حزب الأبالسة وهو لا يشعر به، فالحذار الحذار من تلبيس إبليس الرجيم.

ومن العلاج للخلاص من الشوائب ومن الرياء: التفكر والدعاء والاستعانة بالله والاستعاذة به من شرّ الشيطان. ومن شرور الأنفس، ومن مراتب الرياء ودرجات الشوائب والآفات المكدرة للإخلاص.

فإن الآفات المشوشة لنقاوة الإخلاص بعضها جليّ واضح، وبعضها خفي غامض، وبعضها ضعيف مع الجلاء وبعضها قويّ مع الخفاء، وهذا يتطلّب العلم الدقيق والمعرفة التامة، والوعي الكامل والدقة في المراقبة والمحاسبة، ولكي يقف عليه عامةُ النّاس نذكر مثالاً في الإخلاص المشوب والمشوّش بالرّياء، وعليه يقاس تمام العبادات والاعمال والاقوال، والله المستعان.

تشويش الشيطان في صلاة المؤمن

من الواضح المعلوم من كان جند الشيطان وحزبه وأتباعه، فإن إبليس وشياطينه في راحة منة وإنّما يعلّمهم كيف يضلّوا الآخرين، ومن ثم في سورة الناس يتعوذ المؤمن من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنّة والناس، فشياطين الانس كشياطين الجن في إضلال الناس والتشوش على المؤمنين والمؤمنات.

فمقصود الشياطين هو ايذاء المؤمن والمؤمنة، فيبذل ما عنده من أجل إغوائهما وإضلالهما، ومن أهدافهم إبطال أعمالهما ولا سيما العبادية فيها بأي نحو كان، ولو بالقاء العجب أو الرياء أو حبّ السمعة أو غير ذلك، حتى ينفخ بين إلية المصلّى حتى يؤذيه ويبطل صلاته، وقد ورد في الفتاوىٰ والأحاديث أنه من أذى الشيطان عند ما يشك المصلّى بخروج الريح منه لما يحسّ من النفخة بين اليتية ان لا يعتني بذلك، ويستصحب الطهارة، ويتمّ صلاته.

فمن حبائل الشيطان إلقاء الرياء في العبادات، نضرب لذلك مثالاً في الصلاة فانها عمود الدين إن قبلت قبل ما سواها، وإن ردّت ردّت ما سواها، فيحاول الشيطان أوّل ما يأخذ من المؤمن والمؤمن صلاتهما بتركها إن تمكن، وإلّا ففي التساهل التي فيها (عن صلاتهم ساهون)، أو أن ينقر في سجوده كنقر الغراب، أو لا يتعلم حدودها ومسائلها التي تبلغ أربعة آلاف مسألة، أو يصلّيها مع إعتقاد فاسد كصلاة المنافقين والمخالفين، وإن لم يتمكن فيأتيه من كلّ هذا فإنه يأتيه من طريق الرياء ليبطل صلاته، فانما تقبل الصلاة من المخلص المتقي ﴿إنّما

﴿يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[1] فلا بد ان يفسدها من خلال الآفات المشوشة للإخلاص، وهي أصناف فمنها الجلي ومنها الخفي، ومنها الضعيف ومنها القوي، ولمعرفة هذه الآفات اليك المثال التالي:

١ ـ الآفة الأولى: وهي أدنى الآفات وأضعفها: عند ما يقف المؤمن لصلاته ولا سيما في جمع كالجماعة أو حضور شخص، فيدخل الشيطان الآفة على المصلّي فيقول له: حسّن صوتك وقراءتك وذكر الركوع والسجود حتى ينظر اليك هذا الحاضر بعين الوقار والصلاح، ولا يزدريك ولا يغتابك، وإذا به إختلف جوّانيه عن برانيه، وجلوته عن خلوته، فتخشع جوارحه، وتسكن أطرافه، وتحسن صلاته، وهذا هو الرياء الظاهر الضعيف، ولا يخفى ذلك على المبتدين من المريدين.

٢ ـ الآفة والدرجة الثانية: أن يكون المريد قد فهم هذه الآفة، فأخذ منها حذره، فصار لا يطيع الشيطان فيه، ولا يلتفت إليه، ويستمر في صلاته كما كان، فحينئذٍ يأتيه من طريق الخير والمعروف ويقول له: أيّها المؤمن المصلّي أتدري قد إختارك الله وجعلك للآخرين أسوة وقدوة وإماماً (واجعلنا للمتقين إماماً) فانت متبوع ومقتدى بك ومنظور اليك، وان الناس لتتوجه اليك لتقتدى بك ولا سيما في صلاتك، فما تفعله يؤثر عنك ويتأسّى بك غيرك وينقل للآخرين، فيكون لك ثواب أعمالهم إن أحسنت، وعليك الوزر إن أسأءت، فلابدّ لك. أن تحسن صلاتك، فأحسن عملك بين يديه فعساه أن يقتدى بك في الخشوع، وتحسين العبادة وهذا الرياء أخفى من الأول، وقد ينخدّع به من لا ينخدع

(١) المائدة: ٢٧.

بالأوّل، وهو أيضاً عين الرياء ومبطل للإخلاص المطلوب. فإنّه ان كان يرى الخشوع وحسن العبادة خيراً لا يرتضي لغيره تركه، فلما ذا يتركه هو في خلواته، لِمَ لم يرتض لنفسه ذلك عند ما يكون وحده، ولا يمكن أن يكون نفس غيره أعزّ عليه من نفسه، فهذا محض التلبيس بل المقتدى به هو الذي استقام في نفسه، واستنار قلبه، فانتشر نوره إلى غيره، فيكون له ثواب عليه، فامّا هذا فمحض النّفاق والتلبيس، فمن اقتدى به أثيب عليه، وأمّا هو فيطالب بتلبيسه، ويعاقب على إظهاره من نفسه، ممّا ليس متصفاً به.

ومن هذا الباب أيضاً العالم الذي لم يعمل بعلمه، والناس عملوا بعلمه، فان الناس يدخلون الجنة وهو يدخل النار، والفضيحة الكبرى يوم القيامة بمثل هذا العالم، حيث يرى اولئك الذين إستمعوا له وأخذوا بمواعظه دخلوا الجنة، وهو الأغبر في النّار، وحتّى أن أهل النار ليتأذون من رائحته النتنة، ويستغيثون بالله من ذلك، ويدعون ربهم ان يخلّصهم من جوار هذا العالم الذي لم يعمل بعلمه، فخسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين ـ والعياذ بالله الكريم ـ

٣ ـ الآفة والدرجة الثالثة في الرياء: وهي أدق ممّا قبلها، وعلى المؤمن الذكي الفهيم أن يجرب نفسه في ذلك، ويتبه غاية الانتباه لمكائد الشيطان وخطواته، فهنا يأتيه الشيطان ويقول له: إعلم وانّ مخالفتك بين الخلوة والجلوة، اى بين صلاته منفرداً وصلاته أمام الآخر إنّما هو من محض الرياء، وإعلم أنّ الإخلاص في أن تكون صلاتك في الخلوة مثل صلاتك في الملأ، وأن تستحي من نفسك ومن ربّك، بأن يتخشع لمشاهدة خلقه تخشعاً زائداً على عادتك، فلابد من أن يكون صلاتك في الخلوة لصلاتك في الملأ، ومن أجل أن تكون

صلاته بين الناس حسنة وجميلة، فانه في خلوته يفعل ذلك أيضاً، وهو لا يدري أنّ حسن الصلاة في الخلوة لم يكن لنفسها، بل من أجل أن يصليها أمام النـاس كذلك، فهذا أيضاً من الرياء الخفي القوي الغامض، لانه حسّن صلاته في الخلوة ليحسّنها في الملأ، فلا يكون قد فرق بينهما، إلّا ان الثفاته في الخلوة والجلوة إلى الخلق أيضاً، والحال المخلص في صلاته أن تكـون مشـاهدة البـهائم لصـلاته ومشاهدة الخلق على وتيرة واحدة، فالمفروض ان لا يلتفت إلى الخلق مـطلقاً كما لا يلتفت إلى الجمادات في الخلأ والملأ جميعاً، إلّا ان هذا المرائـي حسّـن الصلاة في الخلوات والجلوات إنّما هو مشغول الهمّ بالخلق في الملأ وفي الخلأ معاً، وهذا من المكائد الخفيّة للشيطان، فتدبّر.

٤ ـ الآفة والدّرجة الرابعة للرياء، وهي أدقّ وأخفى أن ينظر إليه النّاس وهو في صلاته، فيأتيه الشيطان فيعجز عن أن يقول له: اخشع لأجلهم، فانه قد عرف أنه تفطن لذلك، فيقول له بلغة عرفانية ومنطق سلوكي كـقوله: تـفكّر يا عـبدالله وانت في معراجك وقربانك إلى الله، فتفكّر في عظمة الله وجلاله، ومن أنت واقف بين يديه، استحي من أن ينظر الله عزوجل إلى قلبك وهو غافل عـنه، فـيحضر بذلك قلبه وتخشع جوارحه وتجرى دموعه ويظن أن ذلك عين الإخـلاص ولا يدري ان هذا عين المكر والخُداع، فإن خشوعه لو كان لنظره إلى جلاله وعظمته لكانت تلازمه في خلاوته أيضاً، لبكى في الخلأ أيضاً، ولا يـختص حـضورها بحالة حضور غيره.

نعم لو كان مخلصاً لكانت هذه الحالة والخضوع والخشوع وهـذا الخـاطر العرفاني ممّا يألفه في الخلوات أيضاً، ولا يكون حضور الغير هـو السـبب فـي

حضور هذه الحالة التي يتصورها أنها حالة عرفانية، كما لا يكون حضور بهيمة وحمار سبباً لهذه الحالة، ومادام يفرق في أحواله بين مشاهدة إنسان ومشاهدة بهيمة فهو خارج عن صفو الإخلاص، مدنّس الباطن بالشرك الخفي من الرياء، ومثل هذا الشرك أخفى في قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصلداء، كما ورد في الخبر.

فلا يسلم من إغواء الشيطان الّا من دقّ نظره، وسعد بعصمة الله وتوفيقه وهدايته، وإلّا فالشيطان قرين الانسان وعدوّه اللّدود، لا يرضى لنفسه أن يدخل النار ويدخل الانسان الجنة، بل يريد ان ينتقم منه. فهو ملازم له، ولا سيما للمؤمنين والمؤمنات، للمتشمّرين سواعدهم لعبادة الله والسجود له، فلا يغفل عنهم لحظة واحدة، حتى يحملهم على الرياء في كل حركة من الحركات، حتى في مثل قصّ الشارب، وطيب يوم الجمعة، ولبس الثياب البيض، فإن هذه السنن في أوقات مخصوصة، وللنفس فيها حظ خفي، لارتباط نظر الناس بها، ولاستيناس الطبع بها، فيدعوه الشيطان إلى فعل ذلك، فيأتيه من الدين وباسم الدين، وبنيّة المندوبات والنوافل ليخرجه بالرياء من الدين ويفسد عليه أعماله، فيقول: هذه سنة من السنن النبويّة ينبغي ان لا تتركها، ويكون انبعاث القلب باطناً لها لأجل تلك الشهوات الخفية، أو مشوبة بها شوباً يخرج عن حدّ الإخلاص بسببه، وما لا يسلم عن هذه الآفاق كلّها فليس بخالص.

وربما يصلّي في مسجد معمور نظيف حسن العمارة والبناء يأنس إليه الطبع به، فيرّغبه الشيطان فيه ويكثر عليه من ثواب الصلاة في المسجد، قد يكون المحرّك الخفي في سرّه هو الأنس بحسن صورة المسجد واستراحة الطبع إليه.

ويكفيك شاهداً ويتبين ذلك في ميله إلى أحد المسجدين أو أحد الموضعين إذا كان أحسن من الآخر، وكلّ ذلك إمتزاج بشوائب الطبع وكدورات النفس فيبطل حقيقة الإخلاص.

ومثل هذه الآفات في العبادات مثل الغشّ الذي يمزج بخالص الذهب، فانه له درجات متفاوتة، فمنها ما يغلب ما يقلّ ولكن يسهل إدراكه، ومنها ما يدقّ بحيث لا يدركه إلّا الفاقد البصير.

ولا يخفى ان غُش القلب وخبث النفس ودغل الشيطان ومكره، أغمض وأعمق بكثيرٍ من ذلك، ولمثل هذا يقال، ركعتان من عالم أفضل من عبادة سنة من جاهل.

فان المقصود من العالم ليس من يعرف المصطلحات العلمية، بل العالم البصير بدقائق آفات الأعمال حتى يخلص عنها، فان الجاهل نظره إلى ظاهر العباده واغتراره بها، فانه كمن ينظر إلى الدينار المغشوش فيرى ظاهره ولا يعرف العش الذي فيه، وقيراط من خالص الذهب الذي يرتضيه الناقد البصير خير من ألف ألف دينار ممّا يرتضيه الغرّ الغبي، وهكذا يتفاوت أمر العبادات، بل أشد وأعظم، ولا يمكن حصر الآفات والخاطر المتطرّقة إلى فنون الأعمال، وما ذكرناه إنّما هو مثال ونموذج، والفطن الذكي يغنيه القليل عن الكثير، والبليد الغبي لا يغنيه التطويل أيضاً، فلا فائدة في التفصيل»[1].

(١) اقتباس من كتاب (المحجة البيضاء) للحدث الفيض الكاشاني قدس سره المجلد الثامن صفحة ١٢٩ ـ ١٣٦.

مراتب الاخلاص السبع

إن نيات الناس في الطاعة على أقسام، وقد جمعت أُمهاتها في مراتب سبع:

الأولى: مرتبة الخائفين الطامعين (الراغبين) وهي أدنى مراتب الإخلاص، وهو من كان عمله إجابة لباعث الخوف من عذاب الله وناره، ويسمى بعبادة العبيد، أو اجابة لباعث الرجاء ودخول الجنة، فيعبدالله طمعاً وهي عبادة التجّار.

وقد أختلف العلماء في صحه عبادتهما، والمختار ـ كما هو ثابت في محله بالآيات والروايات ـ صحة ذلك، وقد أشرت إلى هذه المراتب في بعض مؤلفاتي الاخلاقية.

الثانية: مرتبة المتنعمين: الذين يعبدون الله متلذذين بعبادته بإخلاص لما نالوا من نعمة توفيق العبادة.

قال الإمام الصادق عليه السلام: قال الله تبارك وتعالى: يا عبادي الصديقين تنعموا بعبادتي في الدنيا، فانكم تتنعمون بها في الآخرة»[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أفضل الناس من عشق العبادة فعانقها، وأحبّها بقلبه،

---

(١) الكافي: ٢: ٨٣.

وباشرها بجسده، وتفرّغ لها فهو لا يبال على ما أصبح من الدنيا على عسر أم يسر[١].

وقال صلى الله عليه وآله: أحبّ من دنياكم ثلاث: الطيب، والنساء، وجعلت قرّة عيني في الصلاة[٢].

الثالثة: مرتبة الشاكرين: الذين رأوا النّعم الإلهية التي لا تعدّ ولا تحصى، فعبدوا المنعم شكراً، فإنه أحق بالعبادة.

قال أميرالمؤمنين علي عليه السلام: (إنّ قوماً عبدوا الله رغبة، فتلك عبادة التجّار ـ فان التاجر إنما يقدم على بيع وشراء معاملة إذا عرف انه فيها ربحاً ـ وإن قوماً عبدوا الله رهبة، فتلك عبادة العبيد ـ فان العبد يخاف من أدب مولاه فيطيعه ـ وإن قوماً عبدوا الله شكراً، فتلك عبادة الاحرار ـ فان من حرية الانسان وكرامته ان يردّ الجميل بالجميل ـ)[٣].

الرابعة: مرتبة المستحيين: اولئك الذين يعبدون الله ولا يعصونه حياءً منه، لعلمهم بان الله سبحانه وتعالى يراهم ويسمعهم، وانه يعلم السرّ وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

فمن كان معه طفل لا يقدم على أمر قبيح خوفاً من الفضيحة أو حياءً منه، فكيف برب الأرباب، الذي بيده ملكوت كل شيء، وله ملك السموات والأرض، وان العالم كله محضره، فهل يستهان به؟!.

---

(١) الوسائل: ١: ٦١.

(٢) الكافي: ٥: ٢٣١.

(٣) نهج البلاغة ـ صبحي ـ ٥١٠ والوسائل: ١: ٤٦.

قال رسول الله ﷺ: (اعبدالله كانك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك)[١].

وقال لقمان الحكيم لولده: (يا بنى إذا أردت أن تعصى ربك، فاعمدمكان لا يراك الله فيه)[٢].

الخامسة: مرتبة المحبين: أولئك الذيـن عـبدوا الله حـبّاً وشـوقاً ﴿يُـحِبُّهُم ويُحبُّونَهُ﴾[٣].

في مناجاة المحبين لسيد الساجدين عليه السلام (الهي فاجعلنا من الذين ترسّخت أشجار الشوق إليك في حدائق صدورهم وأخذت لوعة محبتك بمجامع قلوبهم).

وفي دعاء عرفة لمولانا سيد الشهداء الحسين عليه السلام: (أنت الذي أزلت الاغيار عن قلوب أحبائك حتى لم يحبّوا سواك، ولم يلجئوا إلى غيرك) (يـا مـن أذاق أحبائه حَلاوة المؤانسة، فقاموا بين يديه متملّقين).

وعن أميرالمؤمنين علي عليه السلام في دعاء كميل: (فهبني يا إلهي صـبرت عـلى عذابك، فكيف أصبر على فراقك).

فهذا حال المحبين وعبدوا الله مخلصاً انطلاقاً من حبّه وعشقه، وأحبّوا خلوة حبيبهم.

في الحديث القدسي: «يا بن عمران كذب من زعم أنه يحبّني فاذا جـنّه الليل نام عنّي، أليس كل محبّ يحب خلوة حبيبه»[٤].

---

(١) الدر المنثور: ١: ٢٩٩.

(٢) الاخلاق: ١٥.

(٣) المائدة: ٥٤.

(٤) الوسائل: ٤: ١٢٥.

السادسة: مرتبة المقرّبين: أولئك الذين حازوا السبق في خلاص أنفسهم ووجودهم من النواقص والشوائب والتشويش بقربهم من العلي الأعلى، ليكون المثل الأعلى، فاصطبغوا بصبغة الله، ودنو من إرادته دنواً فنوا فيها، فبقوا بها.

وفي الحديث القدسي: «عبدي أطعمني حتّى أجعلك مَثَلي، أقول للشيء كن فيكون، وتقول للشيء كن فيكون» فرضاهم في رضا الله، وقصدهم في طاعة الله القرب منه حتى ينالوا ولاية الله العظمى بعبادتهم الخالصة والمخلصة، فان الله قريب منّا، أقرب إلينا من حبل الوريد، ويبغي العبد بطاعته المخلصة ان يقترب منه ليتولاه معرفة وقرباً حتى يكون بصره وسمعه.

في الحديث يتقرب العبد اليّ بالنوافل حتى أحبّه فاذا أحببته، أكون بصره الذي يبصر به، وسمعه الذي يسمع بها. ويده التي يبطش بها).

السابعة: مرتبة العارفين: أولئك الذين عرفوا الله سبحانه وتعالى بجماله وجلاله وكمال المطلق ومطلق الكمال، وانه المعبود الذي يستحق العبادة والتذلل له، وحبّه مطلقاً.

وإلى هذا المقام العظيم الذي لا يناله الّا الاوحدي من العباد أشار مولانا أميرالمؤمنين علي عليه السلام فقال: إلهي ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك، ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك[1].

(١) البحار: ٦٧: ١٨٦.

وميض في معرفة الإخلاص
على ضوء القرآن الكريم والأخبار الشريفة

إن الاخلاص من أعلى منازل الدين، ومن أجلّ مقامات السالكين، وأعظم درجات المؤمنين، فانه الإكسير الأحمر، الذي إذا أصاب الحديد الصديد أبدله إلى الذهب الفريد. وتوفيق الوصول إليه بلطف الله الحميد. فانه رأس الفضائل ورئيسها، وهو الملاك والمقياس في قبول الاعمال وصحتها، فلا عبرة بعمل لا إخلاص معه، ولاخلاص من الشيطان ووساسه إلّا بالاخلاص، لقوله: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾.

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم:

١ ـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1].

٢ ـ ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2].

---

(١) الفاتحة: ٥.

(٢) البقرة: ١١٢.

٣ ـ ﴿صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ«١٣٨» قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾[١].

٤ ـ ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلهِ﴾[٢].

٥ ـ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[٣].

٦ ـ ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَتَثْبِيتاً﴾[٤].

٧ ـ ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾[٥].

٨ ـ ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾[٦].

٩ ـ ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾[٧].

١٠ ـ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً﴾[٨].

١١ ـ ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٩].

---

(١) البقرة: ١٣٨ ـ ١٣٩.
(٢) البقرة: ١٩٦.
(٣) البقرة: ٢٠٧.
(٤) البقرة: ٢٦٥.
(٥) البقرة: ٢٠.
(٦) البقرة: ٢٤٥.
(٧) النساء: ٣٥.
(٨) النساء: ١٢٤.
(٩) النساء: ١٤٥.

١٢ ـ ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[١].

١٣ ـ ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّٰهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[٢].

١٤ ـ ﴿وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[٣].

١٥ ـ ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[٤].

١٦ ـ ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾[٥].

١٧ ـ ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[٦].

١٨ ـ ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾[٧].

١٩ ـ ﴿حُنَفَاءَ لِلّٰهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾[٨].

٢٠ ـ ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى ٱللّٰهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ وَإِلَى ٱللّٰهِ عَاقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾[٩].

---

(١) الانعام: ٧٩.
(٢) الانعام: ١٦٢ ـ ١٦٣.
(٣) الاعراف: ٢٨.
(٤) يوسف: ٢٤.
(٥) الاسراء: ٢٣.
(٦) الكهف: ٢٨.
(٧) الكهف: ١١٠.
(٨) الحج: ٣١.
(٩) لقمان: ٢٢.

٢١ ـ ﴿إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ * أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ * فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[1].

٢٢ ـ ﴿فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ * أَلاَ لِلهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾[2].

٢٣ ـ ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ * وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ * قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي * فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِن دُونِهِ﴾[3].

٢٤ ـ ﴿فَادْعُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[4].

٢٥ ـ ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهَ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُوراً * إِنَّا نَخَافُ مِن رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾[5].

٢٦ ـ ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[6]. هذه جملة من الآيات الكريمة الدالّة على الإخلاص ومقامها الشامخ في الدنيا والآخرة.

وأما الاحاديث الشريفة فهي كثيرة، إلّا انه نكتفي بأربعين حديثاً في عظمة الاخلاص، وذلك إنطلاقاً من قوله صلى الله عليه وآله: (من حفظ من أُمتي أربعين حديثاً بعث يوم القيامة فقيهاً» وقال صلى الله عليه وآله: «من حفظ من أُمتي اربعين حديثاً يطلب بذلك

---

(١) الصافات: ٤٠ ـ ٤٣.

(٢) الزمر: ٢ ـ ٣.

(٣) الزمر: ١٢ ـ ١٤.

(٤) المؤمن: ١٤.

(٥) الدهر: ٩ ـ ١٠.

(٦) البينة: ٥.

وجه الله عزوجل والدار الآخرة، حشره الله يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ،وحسن أولئك رفيقاً».

قال الإمام الصادق عليه السلام: (من حفظ عنا أربعين حديثاً من أحاديثنا في الحلال والحرام، بعثه الله يوم القيامة فقهياً، عالماً ولم يعذبه،)[1].

١ ـ ٢ ـ قال أميرالمؤمنين علي عليه السلام بالإخلاص يكون الخلاص، وقال عليه السلام: «أُخلص تَنَل».

٣ ـ وفي الحديث القدسي قال الله تعالى: (الاخلاص سرّ من أسراري، إستودعته فيمن أحببت من عبادي.

٤ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أخلص العمل يجزك منه القليل.

٥ ـ وقال صلى الله عليه وآله: ما من عبد يخلص العمل لله تعالى أربعين يوماً، إلّا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه.

٦ ـ وقال: أميرالمؤمنين علي عليه السلام: لا تهتموا لقلة العمل واهتموا للقبول.

٧ ـ وقال عليه السلام: طوبىٰ لمن أخلص لله العبادة، والدعاء، ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه، ولم ينس ذكر الله بما تسمع أُذناه، ولم تحزن صدره بما أعطي غيره.

٨ ـ وقال عليه السلام: الاخلاص غاية الدين، وعبادة المقربين.

٩ ـ قال الإمام الباقر عليه السلام: ما أخلص عبدالايمان بالله أربعين يوماً ـ أو قال: ما أجمل عبد ذكر الله أربعين يوماً الازهده الله تعالى في الدنيا، وبصره داءها ودواءها، وأثبت الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه.

---

(١) الخصال: ٢: ٥٤٢.

١٠ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾: ليس يعني أكثركم عملاً، ولكن أصوبكم عملاً، وإنّما الاصابة خشية الله والنية الصادقة.

ثمّ قال عليه السلام: الإيفاء على العمل حتى يخلص أشد من العمل، والعمل الخالص الذي لاتريد أن يحمدك عليه أحد إلّا الله عزوجل، والنية أفضل من العمل، ألا وإن النية هي العمل. ثم تلا قوله عزوجل: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ يعني على نيّته[1].

١١ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: الاخلاص يجمع فواضل الاعمال، وهو معنى مفتاحه القبول وتوفيقه الرضا، فمن تقبل الله منه ورضي عنه عمله فهو المخلص، وإن قلّ عمله، ومن لا يتقبّل الله منه فليس بمخلص، وان كثر عمله، اعتباراً بآدم عليه السلام وإبليس.

وعلامة القبول وجود الاستقامة ببذل كل المحاب، مع إصابة علم كل حركة وسكون، والمخلص ذائب روحه، باذل مهجته في تقويم بما به العلم والأعمال، والعامل والمعمول بالعمل، لانه إذا ادرك ذلك فقد أدرك ذلك الكل، وإذا فاته ذلك فاته الكل ـ من باب إذا انتفىٰ الجزء انتفى الكل ـ وهو تصفية معاني التنزيه في التوحيد، كما قال الإمام الصادق عليه السلام: هلك العاملون إلّا العابدون ـ وهلك العابدون إلّا العالمون، وهلك العالمون إلّا الصادقون، وهلك الصادقون إلّا المخلصون، وهلك المخلصون إلّا المتقون، وهلك المتقون إلّا الموقنون، وأن الموقنين لعلي خطر عظيم!!

---

(١) الاخبار نقلتها من جامع السعادات: ٢: ٤/٧ وهو عن الكافي باب الاخلاص وعن الوافي: ٣: ٣٢٨، باب الاخلاص وفي الباب احاديث أُخرى كما في ميزان الحكمة فراجع.

قال الله لنبيه ﷺ: (﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ وأدنى حدّ الاخلاص بذل العبد طاقته، ثم لا يجعل لعمله عندالله قدراً فيوجب به على ربّه مكافاة بعمله، لعلمه أنه لو طالبه بوفاء حق العبودية لعجز، وأدنى مقام المخلص في الدنيا السلامة في جميع الآثام، وفي الآخرة النجاة من النار والفوز بالجنة)[1].

١٢ ـ قال أميرالمؤمنين علي عليه السلام: الاخلاص أعلى الإيمان، شيمة أفاضل الناس. ملاك العبادة. اشرف نهاية غاية اليقين.

١٣ ـ قال رسول الله ﷺ: بالاخلاص تتفاضل مراتب المؤمنين.

١٤ ـ وقال ﷺ: إعمل لوجه واحد يكفيك الوجوه كلّها.

١٥ ـ قال أميرالمؤمنين علي عليه السلام: طوبى لمن أخلص لله عمله وعلمه، وحبّة وبغضه، وأخذه وتركه، وكلامه وصحته، وفعله وقوله.

١٦ ـ قال الإمام زين العابدين عليه السلام في مناجاته: (واجعل جهاد نافيك، وهمّنا في طاعتك، وأخلص نَياتنا في معاملتك.

١٧ ـ قال رسول الله ﷺ: إنّما نصرالله هذه الأمة بضعفائها ودعوتهم وإخلاصهم وصلاتهم.

١٨ ـ قال أميرالمؤمنين عليه السلام: تصفيه العمل أشدّ من العمل، وتخليص النيّة عن الفساد أشدّ على العاملين من طول الجهاد.

١٩ ـ قال رسول الله ﷺ: طوبى للمخلصين أولئك مصابيح الهدى، تتجلى عنهم كل فتنة ظلماء.

---

(١) البحار، باب الاخلاص عن مصباح الشريعة.

وهذا من بركات وثمار الاخلاص في الدنيا وكم للاخلاص من ثمرات وعوائد وفوائد في الدنيا والآخرة.

٢٠ ـ قال الإمام العسكري عليه السلام: لو جعلت الدنيا كلّها لقمة واحدةً، ولقّمتها من يعبدالله خالصاً لرأيت أني مقصرّ في حقّه.

٢١ ـ وقال أميرالمؤمنين عليه السلام: إن لله عباداً عاملوه بخالص من سرّه، فشكر لهم بخالص من شكره، فأولئك تمرّ صحفهم يوم القيامة فرّغاً، فاذا وقفوا بين يديه ملأها لهم من سرّما أسرّوا إليه.

وهذا مقام عظيم لا يلقاه إلّا ذو حظ عظيم، في ذلك فليتنافس المتنافسون، ولمثل هذا فليعمل العاملون.

٢٢ ـ قال أميرالمؤمنين علي عليه السلام: أين الذين أخلصوا أعمالهم لله، وطهّروا قلوبهم بمواضع ذكر الله.

٢٣ ـ قال الإمام الهادي عليه السلام: لو سلك الناس وادياً وشعباً لسلكت وادي رجل عبدالله وحده خالصاً.

٢٤ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا عملت عملاً فاعمل لله خالصاً، لأنه لا يقبل من عباده الاعمال إلّا ما كان خالصاً، أخلصوا أعمالكم لله، فان الله لا يقبل إلّا ما خَلَص له، وابتغ به وجه.

٢٥ ـ قال أميرالمؤمنين علي عليه السلام: ليست الصلاة قيامك وقعودك، إنما الصلاة إخلاصك، وان تريد بها الله وحده.

٢٦ ـ قال أميرالمؤمنين عليه السلام: ضاع من كان له مقصد غير الله. العمل كلّه هباء إلّا ما أخلص فيه. لو ارتفع الهوى لأنَفَ غير المخلص من عمله.

٢٧ ـ قال رسول الله ﷺ : أيها الناس إنه من لقي الله عزوجل يشهد ان لا إله الّا الله مخلصاً لم يخلط معها غيرها دخل الجنة ، فقام علي بن أبي طالب صلوات الله عليه فقال : يا رسول الله ، بأبي أنت وامّي وكيف يقولها مخلصاً لا يخلط معها غيرها فسرّ لنا هذا حتى نعرفه ؟

فقال : نعم ، حرصاً على الدنيا ـ اي يحرص على الدنيا طمعاً وحبّاً لها ـ وجمعاً لها من غير حلّها ـ اي من الحرام والشبهات ـ ورضاً بها ، هذا صنف من لم يخلص ، والصنف الآخر وهو صنف الوعاظين وأمثالهم ـ واقوام يقولون أقاويل الأخيار ، ويعملون أعمال الجبابرة ، فمن لقي الله عزوجل وليس فيه شيء من هذه الخصال ، وهو يقول : (لا اله الّا الله ، فله الجنة ، فإن اخذ الدنيا وترك الآخرة فله النار ، وقال ﷺ : تمام الاخلاص إجتناب المحارم .

٢٨ ـ وفي معرفة حقيقة الاخلاص : قال رسول الله ﷺ : إن لكل حق حقيقة ، وما بلغ عبد حقيقة الإخلاص حتى لا يحبّ ان يُحمد على شيء من عمل لله .

بمثل هذا المقياس والميزان يمكن لكل واحد منّا أن يعرف نفسه ويوزنها ، فمن لا يحب أن يحمد على أعمال الصالحة و خدماته الاجتماعية ، وانه إذا بنىٰ مسجدا لا يذكر أسمه ؟ وإذا قدّم مالاً لشروع اسلامي لا يحمد عليه ؟ ! إن الانسان على نفسه بصيرة ، ولو ألقى معاذيره ، وخبر محكمة لا تحتاج إلى قاض عادل هي نفسك التي بين جنبيك !!

٢٩ ـ قال رسول الله ﷺ : وأما علامة المخلص فأربعة : يُسَلّمُ قلبه ، وتسلم جوارحه ، وبذل خير خيره ، وكفّ شرّه .

فيكون الخبر منه مأمول والشّر منه مأمون ، فلا يصدر منه إلّا خيراً وعطاءً مباركاً ، وفضلاً وسعةً .

٣٠ ـ قال أميرالمؤمنين علي عليه السلام: من لم يختلف سرّه وعلانيته، وفعله ومقالته، فقد أدّى الامانة، وأخلص العبادة.

وبمفهوم المخالف نقول: ومن إختلفت علانيته عن سره ويقول الخير ولا يعمل به، فهذا هو المنافقٍ في عمله ينادي به يوم القيامة: يا فاجر يا غادر يا مرائي.

٣١ ـ قال عليه السلام: العبادة الخالصة: ان لا يرجو الرجل إلّا ربهُ، ولا يخاف إلّا ذنبه.

٣٢ ـ قال الإمام الباقر عليه السلام: لا يكون العابد عابداً له حق عبادته حتى ينقطع عن الخلق كلّه إليه، فحينئذٍ يقول هذا خالص لي فيتقبله بكرمه.

٣٣ ـ وعن أميرالمؤمنين علي عليه السلام في الأمور التي توجب وتورث الاخلاص قال: سبب الاخلاص اليقين، وقوته، وصلاح النية، وثمرة العبادة، وعلى قدر قوة الدين يكون خلوص النيّة، وثمرة العلم، فقلّل الآمال تخلص لك الأعمال، وأوّل الاخلاص اليأس ممّا في أيدي الناس، ومن رغب فيما عندالله أخلص عليه.

٣٤ ـ قال الإمام الباقر عليه السلام: إدفع عن نفسك حاضر الشرّ بحاضر العلم، واستعمل حاضر العلم بخالص العمل، وتحرّز في خالص العمل من عظيم الغفلة بشدّة التيقظ، واستجلب شدّة التيقّظ بصدق الخوف.

٣٥ ـ وللاخلاص موانع من أهمها ما قاله أميرالمؤمنين عليه السلام: كيف يستطيع الاخلاص من يغلبه هواه.

٣٦ ـ فما أروع الاخلاص وما أكثر آثاره وعوائده، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما

أخلص عبد لله عزوجلّ اربعين صباحاً إلّا جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه.

٣٧ ـ وعنه ﷺ: قال الله عزوجل: لا أطّلع على قلب عبد فأعلم منه حبّ الاخلاص لطاعتي لوجهي وابتغاء مرضاتي إلّا توليت تقويمه وسياسته.

وهذا تفسير ما ورد في الحديث الفاطمي الشريف: (من) صعد إلى الله خالص عبادته، أهبط الله إليه أفضل مصحلة.

٣٨ ـ وقال الإمام زين العابدين في رسالة الحقوق: فاما حق الله الأكبر عليك فان تعبده لا تشرك به شيئاً، فإذا فعلت ذلك بإخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة.

٣٩ ـ قال أميرالمؤمنين علي عليه السلام: غاية الاخلاص الخلاص. وان المخلص حريّ بالإجابة، وعند تحقق الاخلاص تستنير البصائر، وترفع الاعمال، وزكت، وفي اخلاص النيات نجاح الأُمور، وبلوغ الآمال، وتنزيه عن الدنيّة.

٤٠ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: ان المؤمن ليخشع له كل شيء، ويُهابه كل شيء، ثم قال: إذا كان مخلصاً لله أخاف الله منه كلّ شيء حتى هوامّ الأرض وسباعها وطير السماء.

زبدة المخاض:

يا إخوان الصفا وأخلّاء الوفاء إن كان هذا الإخلاص، وهذا الاربعون حديثاً فيه، وهو غيض من فيض، فاعلموا أنه ليس بين الاخلاص والرياء الاقلّة العقل والحماقة، إذ أنه حقاً من الحماقة ان يدع الانسان الاخلاص لله في نيّاته وأعماله، ويعمل رياءً للناس.

فمنهم الناس ؟! اليوم لك وغداً عليك، وإن اكثرهم كالانعام بل أضلّ سبيلاً !! ... فما أروع ما يقوله الإمام الباقر عليه السلام : ما بين الحق والباطل الاقلة العقل.

قيل: وكيف ذلك يابن رسول الله ؟

قال: ان العبد يعمل العمل الذي هو لله رضاً، فيريد به غير الله، فلو أنّه أخلص لله، لجاءه الذي يريده في أسرع من ذلك.

كمال الانسان بالعلم الحقيقي الثابت
وبالحريّة الملكوتيّة

توضيح ذلك:

إن الكمال المطلق ومطلق الكمال من تفرد بالكمال وتوحّد به لذاته بذاته في ذاته، وهو الله سبحانه وتعالى، وإذا أراد العبد أن يبلغ الكمال وما فيه من السعة الكمالية والوجودية، فانه كلما اقترب من الكمال المطلق، حاز على رتبة من مراتب الكمال، وفي دنياه بين كمال حقيقي وكمال وهمي ومجازي، فكما له الوهمي أن يتوجّه إلى ما هو موهوم بالنسبة إلى الكمال الحقيقي، بالجاه والرئاسة وحبّ المال والنساء والدنيا وما شابه ذلك، إذا لم يكن عليه إسم الله، ولم يكن من مقدمات الكمال الحقيقي. ثم كمال الله إنّما هو بالعلم والقدرة.

وكمال العلم لله سبحانه إنما هو من وجوه ثلاثة: أولاً: من جهة كثرة المعلومات وسعتها اللامتناهيّة، فانه محيط بكل المعلومات، ومن هذا المنطلق كلّما ازداد العبد علماً ازداد قرباً من ربّه.

ثانياً: ومن جهة تعلّق العلم بالمعلوم على ما هو به من الحقيقة، لعلمه

الحضوري، وكون المعلوم مكشوفاً به كشفاً تاماً بالعلم الحضوري فان المعلومات مشكوفة لله سبحانه بأتمّ أنواع الكشف على ما هو عليها من الحقيقة والواقع.

ومن ثمّ كل ما كان علم العبد أوضح وأتقن وأصدق وأوفق للمعلوم في تفاصيل صفات المعلوم، كان أقرب إلى الله تعالى، وفي مناجاة الإمام زين العابدين عليه السلام (اللهم أرني الحقائق كما هي).

ثالثاً: ومن جهة بقاء العلم أبد الآباد فلا يتغير ولا يزول، فان علم الله تعالى أزلي أبدي سرمدي باق لا يتصور فيه الزوال والتغيّر، وكذلك العبد مهما كان علمه بالمعلومات الثوابت التي لا تقبل التغيير والإنقلاب كان أقرب إليه عزوجل.

المتغيرات والثوابت الازليّة:

ثم المعلومات تنقسم إلى متغيّرات وإلى ازليات ثابتة، اما المتغيرات فمثاله كمن علم يكون زيد في الدار، فان من العلم الذي له معلوم، والعلم رابط بين العالم والمعلوم، إلّا انه يتصور خروج زيد عن الدار فإذا بقى اعتقاده في كونه في الدار، فانه ينقلب علمه إلى جهل، ويكون نقصاناً له من دون كمال.

فكل ما تعتقده اعتقاداً موافقاً ـ كزيد في الدار ـ ويتصوران ينقلب المعتقد فيه عمّا اعتقدته، كنت حينئذٍ بصدد ان ينقلب كمالك ـ وهو العلم بزيد في الدار ـ النقص بعد خروج زيد من الدار لكونه من المتغيّرات، وأنت لازلت أنك تعتقد بكونه في الدار، فيعود علمك جهلاً.

وكل المتغيّرات في العالم على شاكلة هذا المثال كالعلم بارتفاع الجبال ومساحة الارض وبعدد البلاد وبعدها من الأميال والفراسخ، وكالعلم باللّغات

التي هي مصطلحات تتغير بتغيّر الاعصار والامم والعادات، فهذه العلوم معلوماتها مثل الزيبق يتغير من حال إلى حال، فليس فيه كمال إلّا في الحال، ولا يبقى كمالاً في القلب والروح الأبدية.

واما الثوابت من العلوم والمعلومات الازلية، كوجوب الواجبات وإستحالة المستحيلات فانها من المعلومات الازلية، فاذا كان الله واجب الوجود لذاته، وشريك البارى ممتنع الوجود لذاته، فان هذا يبقى في القلب والروح فانها أبدية، ويستحيل أن يكون الواجب يوماً جائزاً، ولا الجائز محالاً، ولا المحال واجباً، وكل هذه الاقسام داخلة في معرفة الله سبحانه، وكذلك ما يجب له من صفات الجمال والجلال والكمال، وما يستحيل عليه هي صفاته ويجوز في أفعاله، وما يدخل في هذا الحيّز من أُصول الدين وفروعه وأخلاقه فهو الكمال الحقيقي الذي يقرب من يتصف به إلى الله تعالى، ويبقى كمالاً للنفس بعد الموت وتكون هذه المعرفة نوراً للعارفين في دنياهم وبعد الموت، فانه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، بقولون ربّنا أتمم لنا نورنا، فتكون هذه المعرفة التي اكتسبوها من دنياهم بمنزلة رأس مال يوصل في الآخرة، منذ أن يوضع في قبره وإلى يوم القيامة وفي الجنان، إلى زيادة علم وإلى كشف ما لم ينكشف في الدنيا، وجعلنا بصرك اليوم حديد، ونافذ تنكشف لك الحقائق النظرية إلى واقع تطبيقي كما تزداد علماً، فيكون رأس المال هذا بمنزلة سراج خافت يمكن أن يكون سبباً لزياده نور بسراج أكبر فاكبر ينقل بهذا السراج الصغير والخافت نوراً، فيقتبس منه النور فيكمل النور الكبير بذلك النور الصغير على سبيل الإستتمام، وأما من ليس معه أصل السراج فلا مطمع له في ذلك أنذاك، فمن ليس معه أصل معرفة الله

وتوحيده لم يكن يطمع في هذا النور، بل يبقى في ظلمات بعضها فوق بعض ليس بخارج منها، يغشاه موج من فوقه موج، من فوقه سحاب.

فلا سعادة إلّا في معرفة الله تعالى، واما الذين سعدوا ففي الجنة، واما من شقى ففي النار، وهو من كان جاهلاً بالله عزوجل.

واما ما عدا معرفة الله من المعارف والعلوم الأُخرى:

فمنها: ما لا فائدة فيه، وكان من العلم الذي لا ينفع من علمه، ولا يضرُّ من جهله، كمعرفة الشعر وأنساب العرب، ومنها. ماله منفعة في الاعانة على معرفة الله كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقه والأخبار، فان معرفة لغة العرب تعين على معرفة تفسير القرآن، ومعرفة التفسير يُعين على معرفة ما في القرآن من كيفية العبادات والاعمال التي تفيد تزكية النفس، ومعرفة طريق تزكية النفس تفيد إستعداد النفس بقبول الهداية في معرفة الله تعالى كما قال عزوجل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾[1] وقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[2].

فتكون جملة هذه المعارف المقدماتية كالوسائل إلى تحقيق معرفة الله تعالى، فالكمال كل الكمال في معرفة الله ومعرفة صفاته وأفعاله، ويدخل في دائرته جميع المعارف والفنون والعلوم المحيطة بالموجودات، لان الموجودات كلها من أفعال الله، فمن عرفها من حيث هي فعل الله جلّ جلاله، ومن حيث ارتباطها وتعلقها بعلم الله وقدرته وإرادته وحكمته، فهي من تكملة معرفة الله عزوجل، وهذا حكم كمال العلم، وكمال الانسان بالعلم ومعرفة الحق جلّ جلاله.

---

(١) الشمس: ٩.

(٢) العنكبوت: ٦٩.

هذا في علم الله وعلم العبد والعلاقة بينهما، وان كمال العبد الحقيقي بعلمه الحقيقي، واما القدرة فليس فيها كمال حقيقي للعبد إذ ليس له القدرة الحقيقية، فانها لله جميعاً، فكمال العلم يبقى معه بعد الموت ويوصله إلى الله سبحانه، أما كمال القدرة فليس كذلك، إنّما له من جهة القدرة كمال إضافي يتعلق بالحال والفعل، فسلامة أطرافه وقوة بطشه في يده ورجله، وسيلة تعينه على كمال العلم، فالقدرة بالمال والجاة إنّما يكون ممدوحاً ونافعاً وحقاً، لو كان من مقدمات الكمال بالعلم، ولولا ذلك لكان من الفتنة التي لا خير فيها.

ومن ظن أن ذلك من كماله فقد جهل الحقيقة وعاش الوهم والخيال، فانها تُعين على اللّذة الحالية التى سرعان ماتنقضي ويبقى وبالها على الانسان، وإن أكثر الناس هالكون في غمرة هذا الجهل، فانهم في جاهليتهم الثانية ظنوا وهما أنّ ذلك من الكمال، فانهم يظنون أن القدرة على الأجساد بالقهر، وعلى أعيان الامرال بسعة الغني، وعلى تعظيم القلوب بسعه الجاه كمال لهم، فلمّا اعتقدوا بذلك، مالت إليها قلوبهم فاحبوها حبّاً جماً، ولمّا أحبوها طلبوها من حلّها وحرامها، ولما طلبوها شغلوا بها وتهالكوا عليها وتكالبوا على جيفتها، كل ينهش الآخر ليصل إلى فريسته أكثر من غيره، فنسوا الله فأنساهم أنفسهم، فنسوا الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب من الله تعالى، ومن ملائكته وأوليائه، وهو العلم والحرية، اما العلم فما ذكر من معرفة الله وما يتطلق بها، واما الحرية فالخلاص من أسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر، فيتشبهون بالملائكة الذين لا يستفزهم الشهوة، ولا يستهويهم الغضب.

ومن هنا يعلم دور الإخلاص ومجاهدة النفس بالجهاد الاكبر، فان دفع آثار

الغضب والشهوة عن النفس من الكمال الذي هو من صفات الملائكة، فيتخلص الانسان من الشهوة والغضب فيكون حرّاً كحرية الملائكة. وهذا عامل ثان لكمال الانسان.

ثم هناك عامل ثالث لكمال الانسان وتكامله:

فإن من صفات الكمال لله سبحانه وتعالى إستحالة التغيّر والتأثر عليه، فانه لو كان كذلك للزم النفص عليه للزومه الجهل والعجز، وقد ثبت في محله إن الله عالم بكل شيء وقادر على كل شيء، فسبحان الله عمّا يصفون.

وحينئذٍ العبد الذي يكون عن التغيّر والتأثر بالعوارض أبعد، كان من الله تعالى أقرب، وبالملائكة أشبه، وكانت منزلته عند الله أعظم، فكلّما تمثل فيه العلوم الازلية والثوابت، وقام به أكثر فأكثر، كان للكمال المطلق أقرب فأقرب. وهذا كمال ثالث سوى كمال العلم والقدرة.

فالكمالات ثلاثة: كمال العلم، وكمال الحرية والمقصود منها عدم العبودية للشهوات وإرادة الاسباب الدنيوية.

واما كمال القدرة فانه طريق إلى اكتساب كمال العلم وكمال الحرية، ولا طريق له إلى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد موته، وهذا بخلاف كمال العلم فانه باق بعد الموت، وإنما لم تبق كمال القدرة بعد الموت لان قدرة العبد على أعيان الاموال والثروة وعلى تسخير القلوب والأبدان في حب الجاه والمقام والرئاسة إنّما تنقطع بالموت. وهذا بخلاف معرفة العبد وحريته فلا تنقطعان بالموت بل تبقيان كمالاً فيه، ووسيلة إلى القرب من الله تعالى.

أذا عرفت هذا فانظر إلى من حولك، بل وانظر إلى نفسك كما أنظر إلى نفسي،

وكيف إنقلب الجاهلون وانكبّوا على وجوههم انكباب العميان، فاقبلوا واقبلنا على طلب كمال القدرة بالمال والجاه.

وهو الكمال الذي لا يسلم في الغالب، وان سلم فلا بقاء له، وقد أعرضوا عن كمال العلم والحرية الذي إذا حصل كان أبدياً بأبدية الروح وخلودها.

فهولاء هم الّذين اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة، فلا جرم أن لا يخفف عنهم العذاب، ولا هم ينصرون، وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى: ﴿اَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ اَلْحَيَاةِ اَلدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ﴾[1].

كان العلم والحرية هي الباقيات الصالحات التي تبقى كمالاً في النفس، وأما المال والجاه فهو الذي ينقضي على القرب، وهو كما مثّله الله تعالى حيث قال: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ اَلْحَيَاةِ اَلدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ اَلسَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ اَلْأَرْضِ﴾[2].

فان الدنيا لا زالت زهرة لم تنفتح لتكون وردة، وكل ما تذروه الرياح بالموت فهو من هذه الزهرة، وكل ما لا يقطعه الموت فهو من الباقيات الصالحات.

وبهذا عرفنا أن كمال القدرة بالمال والجاه إنما هو من الكمال الوهمي والظني الذي لا أصل له، ولا يغني من الحق شيئاً، فمن قصر الوقت على طلبه وظنّه عملاً إنّه الهدف والمقصود من الحياة، فانه جاهل جاهل، نعم إنما ينفع كمال الجاه والمال إذا كان بمنزلة المقدمة، وبمقدار البلغة منها إلى الكمال الحقيقي فتدبّر.

---

(١) الكهف: ٤٥.

(٢) يونس: ١٢٥.

حقيقة الرّياء

ان الرياء لغةً: مشتق من الرؤية، كما ان السمعة وهي شقيقة الرياء مأخوذة من السماع، والاول يكون من جهة البصر، والثاني من جهة الأُذن.

وأمّا مصطلحاً: فالرياء بمعنى طلب المنزلة في قلوب الناس بإظهارهم وإرائتهم خصال الخير، وطلب المنزلة في القلوب تارة يطلب ذلك بأعمال غير عبادية، وأُخرى بالعبادات، وإسم الرياء في الكتاب والسنة وفي الشريعة الاسلامية مختص بحكم العادة بطلب المنزلة في القلوب من خلال إظهار العبادات، فالمرائي العابد يريد من خلال الرياء بعبادة الله أن يكسب قلوب الناس، ويكسب مدحهم وثنائهم.

والرياء من المعاني الاضافية المتوفقة على وجود المرائي وهو فاعل الاعمال الريّائية، والمراءىٰ وهم الناس المطلوب رؤيتهم وسماعهم لطلب المنزلة في قلوبهم، والمراءىٰ به وهي الخصال والاعمال التي قصد المرائي إظهارها والتزيّن بها، والرياء هو القصد والنية لاظهار ذلك، فيكون بمنزلة الرابط بين المرائي والمراءىٰ بعملية الرياء.

واما الخصال التي يتراءى بها فهي كثيرة، إلّا أن أُمّهاتها الجامعة لكل

مصاديقها وشعبها خمس: وهي: البدن والزّي والقول والعمل والأتباع والاشياء الخارجة، هذا في أهل الرياء من أهل الآخرة، وكذلك اهل الدنيا يراؤون بهذه الاسباب الخمسة، إلّا أنّ طلب الرياء بالاعمال ليست من الطاعات أهون من الرياء بالطاعات.

ولا يخفى إنّ الرياء هي الشهوة الخفية التي لا يسلم منها إلّا الاوحدي من الناس، بل من العرفاء والعلماء، فانه الداء الدفين الذي هو من أعظم شبكات الشياطين، فلابد من معرفة أسبابه وحقيقته، ودرجاته وأقسامه وطرق معالجته، والحذر منه، ومنشأ الرياء هو الجاه والشهرة وحب الاطراء والسمعة، ومن الناس من يحب ذلك أشد حباً للمال وللعيال. ولا يدري أنه من الكمال الوهمي الذي لا أساس له، ومن ثم تجد من العرفاء من يفرّ من الشهرة والجاه كما يفرّ من السباع والجذام، وإنّ آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حبّ الرياسة، وهلك من خفق خلفه النّعال، ولا يجد حلاوة الآخرة رجل يجب أن يعرفه الناس. ورُبّ أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤوبه له، لو أقسم على الله لأبرّه، وآخر ما يخرج من قلوب الصالحين حبّ الدنيا ... اللهمّ إجعلنا من الصديقين الصالحين.

«إنّ يسير من الريّاء شرك، وإن الله يحبّ الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يُفتقدوا، وإذا حضروا لم يُعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، ينجون من كلّ غبراء مظلمة، ان حب الدنيا رأس كل خطيئة، وحبّ الجاه منشأ كل فساد.

والمذموم طلب الشهرة لا وجودها من غير تكلف من العبد فليس بمذموم كما كان للانبياء والأوصياء، ومن إختارهم الله للقدرة والأسوة. ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ

نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً﴾[1].

(انّما هلك الناس: باتباع الهوى وحبّ الثناء) (ملعون من ترأس، ملعون من همّ بها، ملعون من حدّث بها نفسه).

وفي الصحيح عن معمر بن خلّاد عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام انه ذكر رجلاً فقال انه يحبّ الرئاسة فقال ماذئبان ضاريان في غنم قد تفرق رعاؤها بأضرّ في دين المسلم من الرئاسة[2]:

لقد ذكرنا إن أسباب الرياء خمسة، ولا بأس أن نذكر بعض الأمثلة لكل قسم من الأقسام، حتى نقف على خداع النفس الامارة بالسوء، وكيف تخدع صاحبها.

اما القسم الاول وهو الرياء في الدين من جهة البدن، فكمن يظهر النحول والصفار ليوهم بذلك شدة الإجتهاد وعظم الحزن على أمر الدين، وغلبة خوف الآخرة، وليدلّ بالنحول على قلّة الأكل، وبالصفار على سهر الليل وكثرة الإجتهاد، وكذلك يُرائي بشعث الشعر ليدل به على إستغراق الهمّ بالدين وعدم التّفرغ لتسريح الشعر، وهذه الأسباب مهما ظهرت إستدلّ الناس بها على هذه الأُمور، فترتاح النفس وتدعو إلى إظهارها لنيل تلك الراحة، ويقرب من هذا خفض الصوت، وذبول الشفتين يستدلّ بذلك على انه مواظب على الصوم وعلى الذكر، وإنّ وقار الشرع هو الذي خفض صوته، وإنّ ضعف الجوع هو الذي ضعّف قوّته.

واما القسم الثاني: الرياء بالزّي والهيئة كحلق الشارب، وإطراق الرأس في

---

(١) القصص: ٨٣.

(٢) رجال الكشي: ٣١٣ عند المحجة: ٦: ١١٣.

المشيء والهدوء في الحركة وإبقاء أثر السجود على الوجه، وغلظ الثياب وتشميرها إلى قريب من نصف الساق ـ كالوهابيّة ـ وتقصير الأكمام، وترك تنظيف الثوب وتركه ممزّقاً ليدل على زهده، وأنه مشغول بالسنة، وانه يقتدي بسلفه الصالح.

وأمّا الرياء بالقول ورياء أهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الأخبار والآثار لاجل الاستعمال في المحاورات إظهاراً لفزارة العلم وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الخلق، واظهار الغضب للمنكرات، وإظهار الأسف على مقارفة الناس المعاصي وتضعيف الصوت في الكلام وترقيته بقراءة القرآن ليدل على الحزن، وإدّعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ والدّق على من يروى الحديث ببيان خلل في لفظه ليعرف إنه بصير بالأحاديث، وأما اهل الدنيا فريائهم بالقول بحفظ الاشعار والامثال والتفاصح في العبارات. واظهار التودد إلى الناس لاستمالة القلوب، والرياء بالقول كثير ولا تنحصر أنواعه.

واما الرياء بالعمل كمراءة المصلّي بطول القيام ومدّ الظهر وتطويل السجود والركوع، وتحسين القراءة والترنم بها، واطراق الرأس وترك الالتفات وإظهار الهدوء والسكون، وبالاخبات في المشيء عند اللّقاء كارخاء الجفون، وتنكيس الزاي والوقار في الكلام حتى ان المرائي قد يسرع في المشيء إلى حاجته، فإذا إطلع عليه أحد من أهل الدين رجع إلى الوقار وإطراق الرأس، خوفاً من أن ينسبه إلى العجلة وقلّة الوقار، فإن غاب الرجل عاد إلى عجلته، فتختلف خلوته عن جلوته، وسره عن علنه، وهذا من النفاق.

واما القسم الأخير من المراء أي بالأصحاب والزائرين والمخالطين كالذي يتكلّف ان يروه من العلماء والفضلاء حتى يقال عنه ان فلان المرجع أو والعالم الرّباني قد زاره، أو ان مجلسه يحضر العلماء وأهل العلم، وإذا كان من أهل الدنيا فيحاول أن يزوره الشخصيات الاجتماعية والأعيان والاشراف والسياسيين، وكذلك من الرياء من القسم الخامس ان يكثر ذكر الشيوخ في الاخلاق والعرفان مثلاً ليدل على انه لقى شيوخاً كثيرة واستفاد منهم، فيباهي بشيوخه ويظهر هذا عند ما يخاصم نظيره ويقول له: من لقيت من الشيوخ والاساتذة؟! وانا قد لقيت فلاناً وفلاناً وغير ذلك فهذه مجموعة ممّا يرائي به المراؤون وكلهم يطلبون بذلك الجاه والمنزلة في قلوب الناس، ورب عالم أو عابد يعتزل الناس، ويكفيه ان الناس يحسنون به ظناً، ولو عرف أنهم في عزلته ينسبونه إلى جريحة، لتشوش قلبه، ولم يقنع بان الله يعلم ببراءته، بل سعى بكل جملة ان يزيل ذلك من قلوب الناس مع انه قطع الطمع عن أموالهم، ولكن يجب الجاه في قلوبهم، فانه لذيذ إلّا أنه سريع الزوال وإنه من الكمال الوهمي لا يغتر بـه إلّا الجاهلون، إلّا ان اكثر الناس من الجاهلين.

ومن المرائين من لا يقنع بقيام منزلته في قلوب الآخرين، بل يحاول أن يطلق ألسنتهم بمدحه والثناء عليه، ومنهم من يريد انتشار صيته في البلاد، لتكثر الرحلة إليه، أو في يومنا هذا يظهر على الفضائيات وشاشة التلفاز حتى يشاهد ويختار كلامه. ونشهده من بين مشاهد الفضائيات، ومنهم من يريد الاشتهار عند السلطة والحكومة لتقبل شفاعته و وساطته وتنجز حوائج الناس على يديه ويعرف بين الناس بالخير والصلاح، وإنّه يقضى حوائج الناس، ومنهم من يقصد

التوصل بذلك إلى جمع حطام الدنيا وجمع المال والثروة من حرامها وحلالها، وهؤلاء شر أصناف المرائين، فهذه حقيقة الرياء وما به يقع الرياء أعاذنا الله وإياكم منه ومن تبعاته وآفاته.

ثم الرياء في العبادة يوجب فسادها وبطلانها، وفيها الوزر والعذاب كما هو ثابت في الفقه الاسلامي، وفي الآيات والروايات. وأمّا الرياء بما ليس من العبادات فقد تكون مباحاً، وقد تكون طاعة، وقد تكون مذمومة، وذلك بحسب متعلقه والغرض المطلوب بها، ولذلك يقال: الرجل إذا أنفق ماله على جماعة من الاغنياء لا في معرض العبادة والصدقة، ولكن ليعتقد الناس أنه سخي، فهذا مراءاة ليس بحرام، وان كان مكروهاً.

وأمّا في العبادات كالصلاة والصوم والصدقة وما شابه، فان الرياء فيه لازمه الإستهزاء بالله سبحانه، فانه بمنزلة من يقف في حضرة الملك وبدلاً في أن يخدم الملك يخدم خادمه، فهذا في الإهانة بالملك ولذلك قيل:

إذا رأى العبد قال الله تعالى لملائكته: انظروا إليه كيف يستهزئ بي، وأيّ إستحقار وإستهزاء أعظم من أن يقصد العبد بطاعة الله وصلاته مثلاً مراءاة عبد ضعيف لا يملك له ضراً ولا نفعاً، فهل هذا يعني إلّا ان ذلك العبد أقدر على قضاء حوائجه من ربّه ؟! وانه أولى بالتقرب إليه من الله جلّ جلاله، فانه آثر على ملك الملوك، فجعل العبد الذليل مثله مقصود عباداته، وأيّ استهزاء يزيد على رفع العبد إلى ما فوق مولاه، فان هذا من الظلم العظيم الذي لا يغفر أبداً، إلّا إذا تاب منه، وهذا هو الشرك، وإنّ الشرك لظلم عظيم، وإن الله يغفر من يشاء ما دون الشرك. فهذا الرياء من كبائر الذنوب والموبقات والمهلكات، وسمّاه رسول

الله ﷻ بالشرك الخفي، وبالشرك الأصغر.

فالمرائي يعظم الناس في قلبه ويستصغر ربّه، فيسجد في الظاهر لله، إلّا أنه يخادع ويقصد في باطنه عبدالله، فكان هوالمعظّم والمقصود دون الله جلّ جلاله. وهذا من غاية الجهل ولا يقدم عليه إلّا من خدعه الشيطان، ووسوس له وهماً باطلاً بان العباد يملكون من نفعه وضرّه ورزقه وأجله، ومصالح حاله ومآله أكثر ممّا يملكه الله تعالى، فعدل بوجه عن الله إلى الوجوه الأُخرى، والأتعس والأكثر ضلالاً أنّه حين تسأله عمّا يفعل وعمّا يعتقد فيقول لك ان الله هوالضار النافع وبيده كل شيء وان الناس لا يملكون نفعاً ولا ضراً، ولكن عملاً وقلباً غير ذلك، فلسانه غير ما في قلبه، وهذا نفاق ورياء آخر، ويبدو لي انه كالجهل المركب من جهلين، فهذا رياء مركب، فانه يرائي، ولا يعلم انه يرائي، فرياء في رياء، وجهل في جهل، وظلمات بعضها فوق بعض. أعاذنا الله من ذلك.

درجات الرياء

لا يخفى إنّ الرياء من الكلّي التشكيكي ذات المراتب الطولية والعرضية، تمتاز الدرجات والمراتب بالشدة والضعف، فبعض أبواب الرياء أشدّ وأغلظ من بعض، وإختلافه إنّما يكون بإختلاف أركانه وتفاوت درجاته.

والأركان ثلاثة: المراءى به، والمراءى لأجله، ونفس قصد الرياء.

أما نفس قصد الرياء، فلا يخلو إمّا أن يكون مجرداً دون إرادة عباداالله وإرادة الثواب، أو يكون مع إرادة الثواب، وهذا لا يخلو أما أن يكون إرادة الثواب أقوى وأغلب أو أضعف وأخف، أو مساوياً لارادة العبادة فتكون الدرجات أربعاً:

الاولى: وهي أعلى المراتب في الرياء ان لا يقصد الله ولا الثواب أصلاً إنّما مقصوده الناس فقط، كأن يصلّي بينهم وإذا كان وحده فلا يصلّي، أو ربما يصلّي معهم من دون طهارة، أو يتصدّق مخافة مذمة الناس ولولاها لما تصدّق.

الثانية: أن يكون قصد الثواب ملحوظاً إلّا أنه بقصد ضعيف حيث لو كان في الخلوة لما فعل، فهذا كالسابق حكماً وأثراً.

الثالثة: أن يكون الرياء والثواب في القصد متساويين، بحيث لو كان وحده منفرداً لما بعثه على العمل فجمع بين العمل الصالح والعمل السيء، بين ما فيه

الثواب وما فيه العقاب، فربما يسلم وربما لا يسلم. وان دلت بعض الاخبار على عدم سلامته.

الرابعة: أن يكون إطلاع الناس مرجحاً ومقوياً لنشاطه، ولو لم يكن لكان لا يترك العمل، فهذا في الظاهر يوجب نقصان الثواب ان لم يكن محبطاً للعمل، أو يعاقب على مقدار رياءه، والله العالم بحقائق الأمور.

وما ورد في الحديث النبوي: يقول الله تعالى: (أنا أغنى الأغنياء عن الشرك) فانه يحمل على تساوى القصدين، وكان قصد الرياء أرجح.

الركن الثاني: المراءى به وهو الطاعات والعبادات وينقسم إلى قسمين: الرياء بإصول العبادة والرياء بأوصاف العبادة، والاول على ثلاث درجات:

الاولى: الرياء بأصل الايمان وهو أشدّ الرياء وصاحبه في النار مخلّداً، وهو المنافق في العقيدة، من يظهر الشهادتين ويبطن الكفر، فانه في الدرك الأسفل من الجحيم، وآيات المنافقين إشارة اليهم ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[1] وقال تعالى: ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً﴾[2].

الثانية: الرياء باصول العبادات مع التصديق بأصل الدين، فهذا وإن كان عظيماً عتند الله أيضاً إلّا أنه دون الاول درجة. فتدبّر.

---

(١) منافقون: ١.

(٢) النساء: ١٤٢.

قبح الرياء وآفاته على ضوء القرآن الكريم والأحاديث الشريفة

إنّ الرياء حرام، وإنّ المرائي عندالله مبغوض وممقوت، وهذا ما شهدت بـه الآيات والاخبار والآثار:

١ ـ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَراً وَرِئَاءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللهِ وَٱللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[1].

٢ ـ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللهَ عَلَى مَا فِـي قَـلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾[2].

٣ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ ٱلنَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً﴾[3].

٤ ـ ﴿إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ ٱللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى ٱلصَّلاَةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ ٱلنَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ ٱللهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[4].

---

(١) الانفال: ٤٧.

(٢) البقرة: ٢٠٤.

(٣) النساء: ٣٨.

(٤) النساء: ١٤٢.

٥ ـ ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾[١].

١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (يا أباذر إتق الله ولا يرى الناس أنك تخشى الله فيكرموك وقلبك فاجر)[٢].

٢ ـ وقال صلى الله عليه وآله: (ويا بن مسعود إياك أن تظهر من نفسك الخشوع والتواضع للآدميين، وأنت فيما بينك وبين ربك مصرّ على المعاصي والذنوب، يقول الله تعالى: (يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور)[٣].

٣ ـ وقال صلى الله عليه وآله: (ويل للذين يجتلبون الدنيا بالدين، يلبسون للناس جلود الضأن من لين ألسنتهم، كلامهم أحلى من العسل وقلوبهم قلوب الذئاب، يقول الله تعالى: (أبي تغترّون ؟!)[٤].

٤ ـ أبغض العباد إلى الله تعالى من كان له ثوبان، أن يكون ثيابه ثياب الانبياء، وعمله عمل الجبّارين.

٥ ـ وعنه صلى الله عليه وآله: أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة من يرى الناس أنّ فيه خيراً ولا خير فيه.

٦ ـ وقال صلى الله عليه وآله: ان الملك ليصعد بعمل العبد مبهّجاً به، فاذا صعد بحسناته يقول الله عزوجل: (إجعلوها في سجّين إنّه ليس إياى أراد بها)[٥].

---

(١) الماعون: ٤ ـ ٧.

(٢) المستدرك ١: ١٠٩.

(٣) مكارم الأخلاق: ٢: ٢٦.

(٤) اعلام الدين: ٢٩٥.

(٥) الكافي: ٢: ٢٩٥.

٧ ـ وقال ﷺ: (يقول الله سبحانه: اني أغنى الشركاء، فمن عمل عملاً ثم أشرك فيه غيري، فأنا منه برى، وهو للذي أشرك به دوني)[١].

٨ ـ وقال ﷺ: (إن الله لا يقبل عملاً فيه مثقال ذرة من رياء[٢].

٩ ـ وقال ﷺ: (يابن مسعود إذا عملت عملاً من البرّ وانت تريد بذلك غير الله، فلا تُرج بذلك منه ثواباً، فانه يقول: (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً)[٣].

١٠ ـ وسئل رسول الله ﷺ: يا رسول الله فيما النجاة غداً؟ فقال: ان لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها النّاس[٤].

١١ ـ لقد رأى شداد بن أوس رسول الله في حال بكاء شديد فسأله عمّا يبكيه؟ فقال: إنّي تخوّفت على أُمتي الشرك أما إنّهم لا يعبدون صنماً ولا شمساً ولا قمراً، ولكنّهم يراءون بأعمالهم.

١٢ ـ وقال: إني أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء.

١٣ ـ وقال ﷺ: إنّ النار وأهلها يعجّون من أهل الرياء فقيل: يا رسول الله وكيف تعجّ النار؟! قال: من حرّ النار التي يعذبون بها[٥].

١٤ ـ وقال ﷺ: لمن قرء القرآن يريد به السمعة والتماس شيء، لقى الله

---

(١) عدة الداعي: ٢٠٣.

(٢) تنبيه الخواطر: ١: ١٨٧.

(٣) مكارم الأخلاق: ٢: ٣٥٣.

(٤) تنبيه الخواطر: ١: ١٨٦.

(٥) المستدرك: ١: ١٠٧.

عزوجل يوم القيامة، ووجه عظمُ ليس فيه لحم، وزجّ القرآن في قفاه حتى يدخله النار، ويهوى فيها مع من يهوى[١].

١٥ ـ وقال صلى الله عليه وآله: إن أول من يدعى يوم القيامة رجل جمع القرآن، ورجل قتل في سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول الله عزوجل للقارى القرآن: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ فيقول: بلي يا رب فيقول: ما عملت فيما علمت؟ فيقول: يا ربّ قُمت به في آناء الليل وأطرف النهار، فيقول الله: كذبت وتقول الملائكة: كذبت ويقول الله تعالى: إنك أردت أن يقال: فلان قارى، فقد قيل ذلك[٢].

١٦ ـ وعنه صلى الله عليه وآله: إنّ أوّل الناس يقُضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأُتي به فعرّفه نعمة، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ ـ أي هل أديت شكرها عملاً ـ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، إنّك قاتلت ليقال جري، فقد قيل ذلك، ثم أمِر به فسُحب على وجهه حتى ألقى في النار[٣]؟

١٧ ـ وقال صلى الله عليه وآله: إنّ الله تعالى حرّم الجنة على كل مراء.

١٨ ـ وعنه: إنّ الجنة تكلّمت وقالت اني حرام على كل بخيلٍ ومراءٍ.

هذه جملة من الروايات التي قالها رسول الله صلى الله عليه وآله في الرياء والمرائي، وما يترتب على الرياء من بطلان العمل وسوء العاقبة ودخول النار. وكذلك ورد مثل هذا عن ائمة اهل البيت عليهم السلام.

---

(١) ثواب الأعمال: ٢: ٢٣٧.

(٢) البحار: ٧٢: ٣٠٥.

(٣) منية المريد: ١٣٤.

١٩ ـ قال أميرالمؤمنين علي عليه السلام: ما أقبح بالانسان! باطناً عليلاً وظاهراً جميلاً[١].

٢٠ ـ وقال عليه السلام: المرائي ظاهره جميل وباطنه عليل.

٢١ ـ وقال عليه السلام: في وصف المؤمن: لا يعمل شيئاً من الخير رياءً، ولا يتركه حياءً[٢].

٢٢ ـ ولما قيل له أيّ الخلق أعمى؟ فقال عليه السلام: الذي عمل لغيرالله يطلب بعمله الثواب من عندالله عزوجل[٣].

٢٣ ـ وقال عليه السلام: كلّ حسنة لا يراد بها وجه الله تعالى فعليها قبح الرياء، وثمرتها قبح الجزاء[٤].

٢٤ ـ ومن دعائه عليه السلام: (اللهم إني أعوذ بك من أن تحسنّ في لامعة العيون علانيتي، وتقبّح فيما أبطنُ لك سريرتي، محافظاً على رئاء الناس من نفسي بجميع ما أنت مطلع عليه منّي، فأبدي للناس حُسن ظاهري، وأفضي اليك بسوء عملي، تقرّباً إلى عبادك وتباعداً من مرضاتك[٥].

٢٥ ـ وقال الإمام الباقر عليه السلام: من كان ظاهره أرجح من باطنه خفّ ميزانه[٦].

٢٦ ـ وقال عليه السلام: (يا ذوي الهيبة المعجبة، والهيم المُعطنة، مالي أرى

---

(١) غرر الحكم: ٩٦٦١.

(٢) مطالب السؤل: ٥٣.

(٣) أمالي الصدوق: ٤٢٣.

(٤) غرر الحكم: ٦٩١٩.

(٥) نهج البلاغة الحكمة: ٢٧٦.

(٦) امالي الصدوق: ٣٩٨.

أجسامكم عامرة، وقلوبكم دامرة، أما والله لو عاينتم ما أنتم ملاقوه، وما أنتم إليه صائرون لقلتم: (يا ليتنا نردّ ولا نكذّب بآيات الله ربنا ونكون من المؤمنين)[١].

٢٧ ـ وقال عليه السلام: إن رسول الله سُئل فيما النجاة غداً؟ فقال: ان النجاة في أن لا تخادعوا الله فيخدعكم، فإنه من يخادع الله يخدعه، ويخلع منه الايمان، ونفسه يخدع لو يشعر، فقيل له: وكيف يخادع الله؟! قال: يعمل بما أمره الله به، ثم يريد به غيره[٢].

٢٨ ـ وقال عليه السلام: الإبقاء على العمل أشدّ من العمل، قال الراوي: وما الابقاء على العمل؟ قال: يصل الرجل بصلة، وينفق نفقة لله وحده لا شريك له، فتكتب سراً ـ وهو افضل من العلن سبعين مرة ـ ثم يذكرها، فتمحى فتكتب له علانية، ثم يذكرها، فتمحى وتكتب له رياءً[٣].

٢٩ ـ وقال الإمام الصادق عليه السلام: إياك والرياء فإنه من عمل لغير الله وكـلّه الله إلى من عمل له[٤].

٣٠ ـ وقال عليه السلام: ماعلى عبد إذا عرفه الله إلّا يعرفه الناس، فإنه من عمل للناس كان ثوابه على الناس. ومن عمل لله كان ثوابه على الله، وإن كلّ رياء شرك[٥].

٣١ ـ وقال عليه السلام: قال الله عزوجل: أنا خير شريك، من أشرك معي غيري في عمل عمله، لم أقبله إلّا ما كان لي خالصاً[٦].

---

(١) تحف العقول: ٢٩٢.
(٢) امالي الصدوق: ٤٦٦.
(٣) الكافي: ٢: ٢٩٦.
(٤) الكافي: ٢: ٢٩٣.
(٥) المستدرك: ١: ١٠٦.
(٦) الكافي: ٢: ٢٩٥.

٣٢ ـ وقال عليه السلام: في قوله تعالى: (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) الرجل يعمل شيئاً من الثواب لا يطلب به وجه الله، إنّما يطلب تزكية الناس، يشتهي انْ يسمع به الناس، فهذا الذي أشرك بعبادة ربه، فهذا الشرك شرك رياءٍ[١].

٣٣ ـ وعنه عليه السلام لما سأله العلاء بن فضيل عن تفسير هذه الآية ﴿فمن كان...﴾ قال عليه السلام: من صلّى أو صام أو اعتق أو حج يريد محمدة الناس فقد أشرك في عمله وهو مشرك مغفور[٢].

٣٤ ـ وقال عليه السلام: يُجاء بعبد يوم القيامة قد صلّى فيقول: يا رب صليت ابتغاء وجهك فيقال له: بل صلّيت ليقال ما أحسن صلاته، اذهبوا به إلى النار[٣].

٣٥ ـ وقال عليه السلام: إذا كان يوم القيامة نظر رضوان خازن الجنة إلى قوم لم يمرّوا به، فيقول: من أنتم؟ ومن أين دخلتم؟! قال: يقولون: إنهاً عنّاً ـ أي دعنا ـ، فإنا قوم عبدنا الله سرّاً، فأدخلنا الله الجنة سرّاً[٤].

٣٦ ـ وقال عليه السلام: ما كان من الصدقة والصلاة والصوم وأعمال البرّ كلّها تطوّعاً، فأفضله ما كان سرّاً وما كان في ذلك واجباً مفروضاً، فأفضله أن يعلن به.

٣٧ ـ وقال عليه السلام: الرياء مع المنافق في داره عبادة، ومع المؤمن شرك[٥].

٣٨ ـ قال الإمام الرضا عليه السلام: المستتر بالحسنة تعدل سبعين حسنة.

---

(١) الكافي: ٢: ٢٩٢، تفسير القمي: ٢: ٤٢.

(٢) تفسير العياشي: ٢: ٣٥٢.

(٣) الزهد للحسين بن سعيد: ٦٣.

(٤) فلاح السائل: ٣٦.

(٥) البحار: ٧٥: ٤٢١.

٣٩ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: سيأتي على الناس زمان تخبث فيه سرائرهم، وتُحسن فيه علانيتهم طمعاً في الدنيا، لا يريدون به ما عند ربّهم، يكون دينهم رياء، لا يخالطهم خوف، يعمّهم الله بعقاب، فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجيب لهم[1].

٤٠ ـ عن الصادق عليه السلام: إجعلوا أمركم هذا لله ولا تجعلوه للناس، فانه ما كان لله فهو لله، وما كان للناس فلا يصعد إلى الله.

هذا أربعون حديثاً في الرياء وآفاته، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله من حفظ من أُمتي أربعين حديثاً بعث يوم القيامة فقيهاً.

والمراد من الحفظ ليس ما يتعلق بقوة الحافظة والذاكرة وحفظ الألفاظ والكلمات وحسب، بل المقصود من الحفظ العمل به، حتّى يحفظ في الوجود وفي النفس قولاً وعملاً وسلوكاً ويستصحبه حتّى يوم القيامة، وحينئذٍ يبعث فقيهاً، ويحشر مع الفقهاء والأنبياء عليهم السلام، فلا تغفل.

(١) المحجة: ٦: ١٤٥ عن الكافي: ٢: ٢٩٥.

علامات الريّاء وأسبابه

إنّ الله جعل لكلّ شيء علامة ليهتدي الإنسان بها، ولا يضلّ الطريق ويعرف الغث من السمين، والحق من الباطل، والمؤمن من المنافق ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[1] فاشار النبي وأهل بيته عليهم السلام إلى علامات المرائي، ليعرف كل واحد نفسه بنفسه، وطوبى لمن عرف نفسه، وان الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره مثل الحجب والستار.

١ ـ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وأما علامة المرائي أربعة: يحرص في العمل لله كان عنده أحد، ويكسل إذا كان وحده، ويحرص في كل أمره على المحمدة، ويحسن سمعته بجهده[2].

٢ ـ وقال أميرالمؤمنين علي عليه السلام: للمرائي أربع علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذ أُثني عليه، وينقص منه إذا لم يثن عليه[3].

---

(١) النحل: ١٦.

(٢) تحف العقول: ٢٢.

(٣) شرح نهج البلاغة: ٢: ١٨٠.

٣ ـ وقال الإمام الصادق عليه السلام: قال لقمان لابنه: للمرائي ثلاث علامات: يكسل إذا كان وعده، وينشط إذا كان الناس عنده، ويتعرّض في كل أمرٍ للمحمدة[١].

أسباب الرياء وعوامله

لقد اتضح مدى علو درجات الإخلاص، ومقدار قيمة المخلصين، فانه في أعلى عليين، ولازمه من باب التضاد والتنافر أن يكون الرياء الذي هو ضد الاخلاص، في أرذل وأخسّ وأسفل السافلين كما يتبيّن ذلك، فان الاخلاص كان يوجب القرب من الله سبحانه وقبول الاعمال ودخول الجنات ورفع الدرجات، فإنّ الرياء لا محالة سيكون محبطاً للأعمال، وموجباً لمقت الله وسخطه، وانه من كبائر المهلكات، ويوجب دخول صاحبه النار والعذاب.

وما كان هذا وصفه فجدير بالانسان ان يشمرّ عن ساق الجد وساعد الحزم في إزالته والتخلص منه، ولو بمجاهدة عظيمة. وبالجهاد الأكبر، وتحمّل المشاق والصعاب فانه لا شفاء إلّا في شرب الدواء المرّ ليصل إلى الشفاء العاجل.

ومثل هذه المجاهدة العظمى يضطر اليها جميع العباد، فان الصبي يولد من بطن أمّه لا يعلم شيئاً ﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً﴾[٢]. فيخلق ضعيف العقل والتمييز بين الصواب والخطأ، وان كان ذلك مودعاً في فطرته السليمة في الجملة، فلمّا يكبر ويرى ما حوله فيرى الناس ويرى كثرة الطمع

---

(١) الخصال: ١: ١٢١.

(٢) النحل: ٧٨.

فيهم، ويرى كيف يتصنّع بعضهم لبعض ليصل إلى مقاصده ومآربه، فيغلب عليه حبّ التصنّع بالضرورة وهو الرياء بعينه، ويترسخ ذلك في نفسه حتى يكون خُلقاً في أخلاقه المذمومة، وإنما يشعر بكون ذلك خطراً مهلكاً، بعد كمال عقله، إلّا أنه قد إنغرس الرياء وتجذّر في قلبه، فمن الصعوبة جداً قلع شجرة الرياء من جذورها، إلّا إنه لابد من ذلك حتى يصل إلى الاخلاص، فان الاخلاص من التّحلية، وطيّ مراتبها من التجليّة، ومقدمتهما التخلية، فلابد من تخلية القلب من الرياء حتّى يحلّ فيه الاخلاص، فان القلوب كالأوعية خبرها أوعاها، والوعاء اناء يحلّ فيه الماء الذي جعل الله منه كل شيء حي، بعد أن يفرغ من الهواء، فغرس شجرة الاخلاص بعد قلع شجرة الرياء من بستان القلب وحديقته.

فلا يقدر على قمع الرياء ومحوه إلّا بمجاهدة النفس بالجهاد الاكبر، بقمع الشهوات المحرمة وترك الملذّات المكروة، بل وإن كانت حلالاً، فضلاً عن الشبهات والمكروهات، فان الإمام زين العابدين عليه السلام يستغفر ربه من كل لذة ليس فيه اسمه جلّ جلاله.

فكل مخلص لا ينفك عن هذه المجاهدة العظمى أولاً، إلّا أنّه تشق في البداية وتخفّ في النهاية بعد أن تكون ملكة راسخة في النفس يصدر الفعل منها بسهولة.

كيف نعالج مرض الرّياء

لقد ذكر علماء الاخلاق في علاج الرياء أنه إنما يتمّ في مقامين:

الأوّل: قطع عروق الرياء وأصوله كحب المنزلة والجاه والرئاسة، وحب لذة المحمدة والفرار في ألم المذمة والطمع.

الثاني: دفع ما يخطر منه في الحال وفي أثناء الاعمال والأقوال والعبادات. لما في أيدي الناس والطمع بحطام الدنيا.

ومن الأوّل: ما ورد في الحديث النبوي: إنّ أعرابياً سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: إنّ الرجل يقاتل حميّةً ـ، أي يقاتل من باب الحمية ومن أجل العصبّة فكان من أهل العصبية كالتعصب للقبيلة أو الوطن أو الحزب ومعناه أنه يأنف أن يقهر أو يذمّ، بانه مغلوب أو مقهور ـ ويقاتل ليرى مكانه ـ هذا هو من طلب لذة الجاه والمسكنة والمنزلة في قلوب الناس فقال ـ ويقاتل للذكر ـ وهو الحمد باللسان.

فقال رسول الله ﷺ: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ـ اي لا ينظر إلى نفسه إنّما ينظر إلى ربه ـ فهو في سبيل الله[1]. ويكون جهاده باخلاص فيقبل منه،

---

(١) المحجة البيضاء: ٦: ١٧١.

وإذا قتل كان شهيداً وكان من الاحياء عند ربهم يرزقون. وهذا المعنى يجري في كل العبادات، وعمدتها الصلاة.

ومن المحظورات والمهلكات تحسين الصلاة رياءً ليمالك بذلك قلوب الآخرين، ليحسن فيه إعتقادهم فيلبس الحق بالباطل طمعاً بالجاه والمقام وتملك قلوب الناس، وهذا يجري مجرى من يكتسب المال من طريق حرام، فكما لا يجوز ذلك بتلبيس وغش، فكذلك لا يجوز له ان يتملك قلباً بتزوير وخداع ورياء، فإنّ ملك القلوب أعظم من ملك الاموال.

هذا في الرياء وكذلك السمعة وحبّ المدح، فانه يلبس الحق بالباطل ليسمع ثناء الآخرين، فانه يتلذذ بذلك، فان هذا مما يميل إليه الطبع وترتاح إليه النفس، كما إنها تمقت الذّم والنقّد.

والسبب في حبّ المدح والثناء والسمعة وحبّ الاطراء اما شعور النفس بالكمال، والكمال محبوب وكل محبوب فإدراكه لذيذ، فمهما شعرت النفس بكمالها إهتزت وتلذّذت، كالتلميذ الذي يسمع من استاذه مدحه بالذكاء وغزارة العلم والفضل، وإذا ذمّه ووصفه بالكسل مثلاً، فانه يشعر في نفسه النقصان، فيتألم لذلك.

كما إنّ المدح يدل على إن قلب المادح مملوك للمدوح، وإنّه مريد له ومعتقد فيه، وملك القلوب من المحبوب والشعور بحصوله حينئذٍ يكون لذيذاً، وكل ما كان المادح شخصية بارزة في المجتمع كانت لذة الممدوح أكثر، كما إنّ مدح المادح إصطياد لقلوب الآخرين إذا كان ممّن يعتدّ بمدح المادح، وهذا يختص في المدح على مراءى ومسمع من الناس فيكون المدح ألذ، والذم أشدّ على النفس.

كما إنّ المدح يدل على حشمة الممدوح، والحشمة لذيذة لما فيها من القهر والقدرة، وهذه تُحصّل حتى لو كان المادح غير معتقد في مدحه، كما لو كان مضطراً إلى ذلك كمدح الطغاة والجبابرة فانهم يتلذذون بذلك، ويكفي في دفع هذه الوساوس أن يفكر في نفسه فان مدحه بالعلم وهو ممن لاعلم له لا يجعله عالماً. فكيف يستشعر بالكمال، وكذلك لو علم أن مادحه لا يعتقد بما يقوله في مدحه فكيف يستولي على قلبه أو على قلوب الآخرين الذين يسمعون مدحه، وكذلك الاسباب الأُخرى.

ثم لابد من معرفة الأسباب إذ من لا يعرف السبب والعلة لا يمكن أن يعالج نفسه، فان العلاج عبارة عن حلّ أسباب المرض.

ومن غلب على قلبه حبّ الجاه والمقام صار مقصور الهمّ على مراعاة الخلق مشعوفاً بالرياء لأجلهم، ولا يزال في أقواله وأفعاله يلتفت إلى ما يعظم منزلته عندهم، وهذا من بذور النفاق وأصول الفساد، ويجرّ ذلك إلى التساهل في العبادات والرياء فيها، بل وإلى إقتحام المحظورات والمحرمات للتوصل إلى تملك القلوب، وكل من طلب المنزلة في قلوب الناس فانه يضطر إلى النفاق معهم، وأن يكون ظاهره غير باطنه. فحب الجاه من الامراض الروحية ومن المهلكات، فلابد من علاجه وذلك بالعلم والعمل ـ اما العلم بان يعلم ان السبب الذي من أجله أحبّ الجاه هو تملك القلوب، والحال إذا سلم وصفا فان آخره الموت، فليس من الباقيات الصالحات، فلو سجد لك الناس ولسنين، فانه آخره الفناء والموت، ومثل هذا لا يترك له الدين الذي فيه الحياة الأبدية، ومن عرف الكمال الحقيقي وميّزه عن الكمال الوهمي ـ كما مرّ سابقاً ـ، فانه يصغر في عينه

الجاه، بل الدنيا كلها تصغر في عينه، وهذا فيمن يرى الآخرة عن شهود ويعيش الموت عن حضور، إلّا إنّ أكثر الناس من الغافلين ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا * وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[1] وقال سبحانه: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ * وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾[2] إلى غيرها من الآيات الكريمة.

فلابد من التفكر في الأخطار المحدقة بالجاه والمقام، والبلاء الذي يحيط بأصحاب الجاه، فان كل ذي جاه محسود ومقصود بالإيذاء، وإنه يعيش القلق والاضطراب والخوف على الدوام على جاهه وعلى زوال الجاه، ويحترز من أن تتغير منزلته في القلوب، وأن القلوب سرعان ما تتغيّر وتتقلب، وسمّى القلب قلباً لتقلبه في الحوادث والخواطر، وإنه أشدّ تغيّراً من القدر في غليانه، وهي مترددة بين الاقبال والإعراض والإدبار.

فاذا راى حقيقة الجاه لراى أنه يبني بنيانه على الرمل وعلى ماء البحرّ، فلاثبات له.

ثم الاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحسّاد ومنع أذى الاعداء إشتغال عن الله وتعرّض لمقته في العاجل والآجل. وهذه كلّها هموم وغموم عاجلة تكدّر لذة الجاه، هذا في الدنيا فما بالك بالاخرة إلى هي خير وأبقى.

هذا في العلم، وأمّا العمل فيأتي بمباهات تسقطه عن القلوب، فالملك الذي أراد زيارة زاهد فلما علم به الزاهد جعل امامه الطعام، وأخذ يأكل أمام الملك

---

(١) الاعلى: ١٦ـ١٧.

(٢) القيامة: ٢٠ـ٢١.

بشرهٍ وبلُقم كبار حتى سقط من عين الملك، فقال: الحمد لله الذي صرفك عني، كما حكي عن الميرزا القمي رحمه الله أنّه كان شخص يصلّي خفله وملازماً له، قال يوماً بعد هذا لا أُصلي خلف الميرزا لانه رأيته يأكل الفواكه بكثرة، فاخبروا الميرزا فقال: نعم فعلت ذلك متعمّداً حتى أدفع الرّجل عنّي.

ثم تعرف الاشياء بأضدادها فمن يجب الجاه عليه ان يستعمل ما فيه الخمول حتى يتخلّص من مرض الجاه، ويتعافي ويتشافى، وحينئذٍ إذا أتته الدنيا ذليلة فلا يبالي بها لو ذهبت كذلك منه ذليلة، ولكن من تكالب على الدنيا وعلى تحصيل الجاه من حلّها وحرامها، فانه من الصعب المستعصب أن يتجاوز عنها، بل يفعل المنكر والمحرمات والرياء والسمعه بتمامها كي يحافظ على كرسيه ومقامه، وكما قال الشاعر:

من أخذ البلاد بغير حرب يهون عليه تسليم البلاد

ولكن من أخذها بحرب فهيات ان يسلّمها لغيره، إلّا ان يموت دونها.

ومن قطع الطمع عن الناس وعمّا في أيديهم، فانه إستغنى عنهم وأصبحوا عنده كلا شيء، وحينئذ قناعته واستغنائه عن الناس يشتغل قلبه بذكر ربّه.

وممّا يعين على الحذر من حبّ الجاه: الدعاء والتوسّل، وكذلك مطالعة حياة الصالحين والمخلصين. والنظر في أحوال السلف الصالح وإيثارهم الذّل على العز مادام كان في طاعة الله سبحانه، ورغبتهم في ثواب الآخرة.

عود على بدء:

كيف نعالج الريّاء؟!

هذه مجموعة أُمور تعدّ عند ذوي الخبرة والاختصاص من أهم العوامل لمعالجة الرياء وهي كمايلي:

الأوّل: التفكّر

إن أوّل العلاج في كل مرض يتعلق بالأخلاق وبالروح والقلب، إنما هو بالتفكّر وبالحكمة النظرية، فتفكّر ساعة خير من عبادة سبعين سنة. ثم بالحكمة العملية وتطبيق ما يتوصل إليه من التفكر، فاذا فكر المرائي أنه لما ذا يرائي؟ وما ذا يربح ويخسر؟ عرف أنه لابد من أن يتخلص من الرياء فوراً.

فان الانسان إنّما يقصد الشيء ويرغب فيه ـ اي شيء كان ـ لظنّه انّه خير له ونافع ولذيذ، إما في الحاضر أو في المستقبل، فان علم أنه لذيذ في الحاضر، ولكنه يضرّه في المستقبل، فانه يسهل عليه قطع الميل والرغبة إليه، كمن يعلم أن العسل لذيذ إلّا أنه علم أن فيه سماً قاتلاً في المستقبل، فانه يعرض عنه بسهولة بحكم العقل والفطرة. وكذلك الامر في كل رغبة وشهوة إذا كانت لذيذة في الحال، إلّا انه تضره في المستقبل والمآل، فانه سرعان ما يترك ذلك وبسهولة.

وإذا عرف العبد المرائي مضرة الرياء في المستقبل في الدنيا والآخرة، بما يفوته من صلاح قلبه، وما يحرم عنه في الحال من التوفيق الإلهي، وفي الآخرة من المنزلة عندالله، وما يتعرّض له من العقاب والعذاب الأليم والمقت الشديد والمهُين، والخزي والعار يوم ينادي به على رؤوس العباد: يا فاجر، يا غادر، يا مرائي!! أما استحييت من الله الكريم القادر العليم فاشتريت بطاعته عَرَض الدنيا وحطامها؟!

كيف راقبت قلوب الناس ولم تراقب الله وإستهزأت بنظره، وتحبّبت العباد وأرضيتهم بالتبغض إلى الله وسخطه ؟! وتزيّنت لهم بالشين عندالله ؟ أو تقربّت اليهم بالبعد منه ؟! وتحمّدت اليهم بالتذمم عنده، فشريت مدح الناس بذم الله فتلك والله صفقه خاسرة ـ فان المرائي قد خسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين، كمستعطي اليهودي الذي لا دنيا له ولا الآخرة.

فكيف يطلب رضا الناس بالتعرض لسخط الله، أما كان أحد أهون عليك من الله ؟!

أجل: مهما تفكر العبد في هذا الخزي والعار، وقابل ما يحصل له من الناس والتزيين لهم بما يفوقه من نعيم الآخرة وما يحبط عليه من ثواب الاعمال، فان الرياء يوجب بطلان العمل وحبطه.

وربما عمل واحد كان سبباً في ترجيح ميزان حسناته لو أخلص فيه، فاذا أفسده بالرياء حوّله إلى كفة السيئات فتترجح به ويهوى إلى النار.

فلو لم يكن في الرياء إلّا إحباط عبادة واحدة، لكان ذلك يكفي في معرفة أضراره.

هذا فيما لو تساوت ميزان حسناته مع سيئاته فعمل واحد باخلاص يرجح كفة الحسنات فينجو، وان كان ذلك عن رياء فكان سبباً في ترجيح كفة السيئات فيهلك.

وإن ترجحت حسناته، فانه يكفيه فضلاً انه مع الاخلاص في عمله الواحد هذا أن ينال به علو المرتبة عند الله جلّ وجلاله، وأن يكون في زمرة النبيين والصديقين، إلّا انه بسبب الرياء في هذا العمل الواحد حطّ عن مرتبتهم، وردّ

صفّ النعال من مراتب الأولياء.

هذا جانب من الجوانب التي لا تعدّ من قبح الرّياء، وإنّها تتعلق بآخرة الانسان.

وأما في دنياه، فانه يتعرض لآفات كثيرة، كتشتت الهم من جهة ملاحظة قلوب الناس، فان رضا الناس غاية لا تدرك ـ كما في قصة لقمان وولده وركوبهما الحمار وحديث الناس ـ فإنّ كل ما يرضى به فريق يسخط به فريق آخر، فرضا بعضهم في سخط بعضهم.

ومن طلب رضا هم في سخط الله، فانه كسب سخط الله لنفسه أولاً، كما أسخط الله الناس عليه، ثم لو فكر العبد المرائي أى غرض يترتب على مدحهم وإيثار ذم الله لأجل حمدهم، والحال لا يزيده حمدهم ومدحهم رزقاً ولا أجلاً، فان الارزاق والآجال كلها بيدالله، هذا فيمن يرائي ليكسب مدح الناس.

وأما المرائي من أجل الطمع بما في أيديهم، فليعلم أن الله مقلب القلوب، وإن قلوب الناس بيده، فهو المسخر بالعطاء والمنع، وان الخلق مضطرون إليه، فلا رازق إلّا الله، فمن طمع في الخلق لم يخلو حاله، إما الذل والخيبة فيما لو منع، أو المنة والمهانة فيما لو أُعطى ووصل إلى مراده بالرياء، فكيف يترك ما عندالله برجاء كاذب ووهم فاسد؟! فما لكم كيف تحكمون، وما لنا والرياء الذي في واقعه من الشرك الخفي، يضرّ ولا ينفع مطلقاً، فانه قد يصيب المرائي في مقصوده وقد يخطئ، إلّا انه إذا أصاب فلا تفي لذته بالم منّته ومذلته، إلّا ان يكون حقيراً ومهاناً في نفسه، وغافلاً في سعادة دنياه وآخرته، فيكون كالانعام بل أضل سبيلاً.

وأما الرياء من أجل ان لا يبتلى بذم الناس كالبخيل، يجود بين الاسخياء حتى لايُتهّم بالبخل، وكالمصلي يصلّي بين المصلين حتى لايُتهّم بالفسق، فليعلم كذلك أنّ هذا مما لا ينفعه، فانه لا يزيده ذمهم شيئاً ما لم يكتبه الله عليه، ولا يؤخر رزقه ولا يعجل أجله، ولا يجعله من أهل النار إن كان من أهل الجنة، ولا يبغضه إلى الله سبحانه إن كان محموداً عنده، كما لا يزيد مذمة الناس مقتاً ان كان ممتوتاً عندالله، فان مدح الناس ومذمتهم لا يؤثران في حكمه الله وإرادته، فان العباد كلهم فقراء إلى الله، لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً، ولا يملكون موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، أزمّة الأُمور كلّها بيد الله عزّوجل.

فاذا وقف على هذه الحقائق في تفكره الرحماني والنوراني، وتقرّر وثبت ذلك في وجوده وقلبه، وعرف حق المعرفة آفة هذه الأسباب وأضرارها، فانه لا محالة تفتر رغبته، ويصل على الله بتمام جوارحه وجوانحه ومن كل وجوده، فان العاقل والحرّ لا يرغب فيما يكثر ضرره ويقل نفعه، فان من حكم العقل أنّ دفع الضرر أولى من جلب المنفعة، فما بالك فيما إذا كان النفع وهمياً، وانه لا شيء في مقابل الأضرار الدنيوية والأُخروية ؟!

ثم يكفي المرائي عبرةً أنّه لو علم الناس ما في باطنه من قصد الرياء وإظهار الاخلاص، يعني إختلاف ظاهره عن باطنه لمقتوه وإستحقروه في أنفسهم، وسيكشف الله عن سرّه، لان المرائي منافقاً لاختلاف ظاهره عن باطنه، وإن الله ليكشف نفاق المنافق في الدنيا قبل آخرته، حتى لا يكون قدوة للآخرين، ويبّغضه إلى الناس ويعرّفهم، أنه مرائي وممقوت عندالله، فلا يقتدى في نفاقه وكذبه وريائه.

ولو أخلص لله فان الله وعد، ولن يخلف وعده، أنه يكشف للناس إخلاصه، وحبّبه اليهم، وسخّرهم له، وأطلق ألسنتهم بثنائه ومدحه. ومدح الله المتجلي في مدح عباده فيه النّور والرحمة والبركة من الخير المستقر والمستمر، وهذا بخلاف مدح الناس من دون التجلّى الإلهي، فانه لا كمال في مدحهم ولا نقصان في ذمّهم فانه قد قال شاعر من بني تميم معجباً بنفسه ومدحه وهجوه: أن مدحى زين لمن أمدحه وإن ذمّي شين لمن أذمّه.

فقال له رسول الله ﷺ: كذبت ـ أي إنك في هذا الادّعاء كاذب لان ذلك لله فقال ـ ذلك لله الذي لا إله إلّا هو)[1] فانه لا زين إلّا في مدح الله، ولا شين إلّا في ذمّه، فانه مدح نبيه المصطفى بقوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ فهذا قمة الزين، كما ذمّ عمّه أبالهب بقوله ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ وهذا قمة الشين، فالمفروض أن نكون من أولئك الذين مدحهم الله في كتابه كالمؤمنين والمتقين والصالحين والمخلصين، ولا نكون ممن ذمهم كالظالمين والفاسقين والمرائين والفاجرين ـ والعياذ بالله ـ.

فايّ خير لشخص في مدح الناس إذا كان عندالله مذموماً، فان الناس مهما قالوا ليزيد بن معاوية يا أميرالمؤمنين، فانه عند الله قد أذى الله ورسوله بقتل أهل البيت عليهم السلام، وإباحة المدينة وهدم الكعبة بالمنجنيق، فعليه لعنة الله ورسوله والناس أجمعين وأعد الله له يوم القيامة عذاباً مهيناً.

وأي شرّ لك من ذم الناس وأنت عند الله محمود وفي زمرة المقربين، فاسع سعيك، وجاهد نصبك في سبيل الله، لا في سبيل مدح الناس أو الخوف من

(١) المحجة البيضاء: ٦: ١٧٣.

مذمّتهم. فمن أحضر في قلبه الآخرة ونعيمها الأبدي والمنازل الرفيعة عند الله، فانه يستحقر ما عند الناس، وما يتعلق بالخلق أيام الحياة، مع ما فيه من الكدورات والمنة والمنغّصات.

فيتوجه إلى الله بكل وجوده، فيخلص في نواياه وفي عمله وقوله، ويتخلّص من مذلة الرياء ومقاساة قلوب الناس ورضاهم المشكل، فينعطف من إخلاصه أنواراً على قلبه، ينشرح بها صدره، ويزداد حيوة وسروراً ونشاطاً، وتتفجر ينابيع الحكمة من قلبه، وينفتح له من لطائف المكاشفات الرحمانية، ما يزيده به أنسه بالله ووحشته من الخلق ـ كما قال الإمام العسكري عليه السلام: من استأنس بالله استوحش من الناس ـ فيكون معهم جسداً وليس معهم قلباً، فان قلبه تعلق بالملأ الأعلى ليسبح مع المسبّحين ﴿وَإِن مِن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[1] ويهلّل ويحمد ولا يعبد إلّا إياه، ولا يستعين الّا به ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[2] فيهدية الله الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم من الأنبياء والشهداء والصالحين المخلصين، فتصغر الدنيا بعينه، ويكبر الله في وجوده، ويستعظم آخرته، ويسقط من قلبه محل الخلق، وإن كان يخدمهم لله سبحانه، فإن خير الناس من نفع الناس، إلّا انه يخدمهم لله، لا ليكسب مدحهم ويخلص من مذمّتهم. فيخلو عنه داعية الرياء، فيذلّل له منهج الإخلاص، فيسلك صراطه ليطوي مراتبه، فيفوز بسعادة الدارين، وذلك هو الفوز العظيم.

---

(١) الأسراء: ٤٤.

(٢) الحمد: ٥.

العامل الثاني: الدعاء

اللهم إجعلنا من خيرة عبادك المخلصين، وخلصنا من الرياء ومن آفاته وشعبه، فإنا نعلم أن الطريق الآخر للخلاص من الرياء هو الدعاء ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلاَ دُعَاؤُكُمْ﴾[1] فيدعوا الله ليله ونهاره وفي كل الأوقات، ان يخلّصنا من الرياء بخالصته ويدخلنا في زمرة الصالحين (المخلصين كما نقرء في دعاء صلاة يوم العيد، وكما في مناجاة المخلصين للإمام زين العابدين وسيد الساجدين عليه السلام).

الثالث: ومن العوامل أيضاً الحبّ (حب الله وحبّ الفضائل ومنها الإخلاص) فإنه عامل مهم جداً في تربية الإنسان، والخلاص من الرياء والتحلّي بالاخلاص (أحبّ الصالحين ولست منهم لعلّ الله يرزقني الصلاح) إن الحبّ والعشق من أفضل الأدوات للتكامل، فمن عشق شيئاً فلا يبالي في الوصول إليه ونيله، إنّه يضحّي بكل غال ونفيس، وهذا ما يدل عليه الوجدان والعيان، فانه يعدّ من الضروريات، ومن القضايا التي قياساتها معها.

الرابع: من العوامل المهمة أن يبادر إلى الاخلاص في النوايا والافعال ويستمر على ذلك حتى يصل إلى آخر مراحل المخلصين، كالمريض الذي يستعمل الدواء باستمرار، ويأخذ دوريات من طبيبه حتى يتعافى ويتشافي ليعيش بكل صحة وسلامة، وبقلب سليم، وصدر منشرح، وروح طاهرة، وعقل سليم، وحياة طيّبة وعيشٍ رغيد.

---

(١) الفرقان: ٧٧.

وهذه من الحكمة العملية، كما في كل الأخلاق الفاضلة، فمن أراد أن يكون من الزاهدين، فانه في البداية يتزهّد حتى يزهد، وكذلك الاخلاص فانه يتخلص حتى يخلص.

قال الإمام الصادق عليه السلام: الابقاء على العمل حتى يخلّص أشدّ من العمل.

وهذا يعني انه لابد من العمل أولاً، ثم مجاهدة النفس وخلاصها من الرياء بالجهاد الاكبر ثانياً، ويستمر على ذلك حتى يخلص ثالثاً. وهذا وان كان من الصعب المستصعب الذي لا يتحمّله إلّا مؤمن إمتحن الله قلبه بالايمان، إلّا انه لابد منه، الجميع مكلّفون بذلك، وهو بمقدرتنا واستطاعتنا، إذ انه سبحانه وتعالى قد كلّفنا بذلك، ولا يكلف الله نفساً إلّا وسعها، فكان يوسعنا ذلك، إلّا انه يحتاج إلى مثابرة وعزم وحزم وصبر ونَفس طويل، فانّ الاخلاص قمة الفضائل ومن أنفس النفائس، ومن طلب العُلى سهر الليالي، وان الأمر العزيز النادر والفريد الوحيد كالدرة اليتيمة فانه يبذل من أجلها النفس والنفيس، ولو علمتم ما في الأخلاص لطلبتموه ولو بخوض اللُجج وسفك المهج.

فتخلّصوا تخلصوا، أى حاول ان تركب قطار المخلصين وسفينة الناجين لتصل بسلام إلى شاطى السعادة، وساحل السلام ﴿يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[1].

الخامس: معاشرة المخلصين والاقتراب منهم، وإعتزال المرائين والابتعاد عنهم، فان الخشبة إن جاورت جمرة النار، فانها تأخذ من نارها وتلتهب رويداً

(١) الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩.

رويداً حتى تكون الشعلة الوهاجة التي يحتمي بها الآخرون، أو يستضاء بنورها، أو يحترقوا مثلها ليكون من سنخها، فتنضم اليها، فان السنخية علة الإنضمام.

وهذه المعاشرة تارة تكون عن حضور وشهود وبالفعل، وأخرى بقراءة ومطالعة حياة المخلصين والسلف الصالح، والنظر في أحوالهم وإيثارهم وإخلاصهم، ورغبتهم في القرب الإلهي ونيل ثواب الآخرة، والفوز برضوان الله سبحانه وتعالى.

السادس: بعد ما عرفنا الداء الخطر والدفين وهو الرياء في العبادات، وعرفنا الدواء العلمي، وبقي الدواء العملي، ومنه أن يعوّد نفسه إخفاء العبادات ولا سيما المندوبة منها، فلا دواء للرياء مثل الاخفاء، وإنه في بداية الامر من الاعمال الشاقة، إلّا أنه لو صبر عليه مدة بالتكلّف سقط عنه ثقله: ثم من العبد المجاهدة ومن الله الهداية ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[1] ومن العبد الحركة ومن الله البركة، ومن العبد قرع الباب ومن الله رب الارباب فتح الأبواب، ومن قرع الباب ولجّ، ولج، ودخل إلى حضرة الله سبحانه، وشمّ نسيم لطفه وشميم رحمته، وإن الله لا يغير ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم، وإنه لا يضيّع أجر المحسنين، فان تك حسنة يضاعفها ويؤتى من لدنه أجراً عظيماً.

(١) العنكبوت: ٦٩.

صعود العمل الخالص إلى الله تعالى

قال سبحانه وتعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[1].

إذا أردنا تفسير وبيان هذه الآية الشريفة، إجمالاً، وما يُستوحىٰ منها في مقام النظريّة والتطبيق بحمل الآية مفهوماً والعمل بها مصداقاً، فيكفي أن نشير بعض مفرداتها البارزة مثل: (العزة) (الصعود) (الكلم) (الطيب) (العمل الصالح) (الرفعة).

١ ـ أمّا (العزة) لغةً ومصطلحاً: فانه في اللغة يأتي لمعان:

قال الراغب في المفردات: العزة حالة مانعة للإنسان من أن يُغلب، فتكون العزة بمعنى الغلبة والصلابة، كما في قولهم: أرض عزاز، اي صلبة. قال تعالى: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾[2].

فالصلابة هو الأصل اللغوي والموضوع له الأول في معنى العزة، ثم توسع مجازاً واستعمل في غير ما وضع له للعلاقة والقرينة، فاستعمل العزيز:

---

(١) فاطر: ١٠.

(٢) النساء: ١٣٩.

١ ـ فيمن يقهر ولا يُقهر كالملك الفاتح كقوله تعالى في قصة يوسف واخوته ﴿يا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا﴾[١].

٢ ـ وكذا يستعمل في الغلبة كقوله تعالى: ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾[٢].

٣ ـ وكذلك تستعمل بمعنى القلة والشيء النادر وما يصعب مناله، والحصول عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾[٣] فهو الكتاب الفريد الميهمن الذي لم يكن له نظير ومثيل، فانه مظهر لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

٤ ـ وتستعمل العزة أيضاً بمعنى مطلق الصعوبة ومنه قوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ﴾[٤] أي يصعب على النبي الأكرم ﷺ عنتكم وعنادكم.

٥ ـ والعزة بمعنى الأنفة والحميّة قال سبحانه ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾[٥] إلى غير ذلك من المعاني المجازية.

ثم المعنى المصطلح في نسبة العزة لله جميعاً، هو كون الشيء قاهراً غير مقهور مطلقاً، أو غالباً غير مغلوب مطلقاً، فإنها تختص بمعناها الحقيقي والمطلق، اي مطلق العزّة والعزة المطلقة بالله عزوجل واجب الوجود لذاته، الغني الصمد في ذاته بذاته لذاته، إذ غيره وما سواه من خلقه من الممكنات والمصنوعات فقير في ذاته، ذليل في نفسه، لا يملك لنفسه شيئاً، فيفتقر إلى علة العلل ونورالانوار في حدوثه وبقائه، فليس له شيء إلّا أن يرحمه الله ويؤتيه

(١) يوسف: ٨٨.
(٢) ص: ٢٣.
(٣) السجدة: ٤١.
(٤) التوبة: ١٢٨.
(٥) ص: ٢.

شيئاً، ومايشاء من عزّته، فتتجلى عزّته فيه، كما فعل ذلك برسوله وبالمؤمنين كما في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

وبهذا البيان يظهر أنّ قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾ ليس بصدد حصر العزة وإختصاصها بالله عزوجل بحيث لا ينالها غيره، وإنه من أرادها فقد طلب محالاً، وأراد ما لا يكون ومن المستحيلات، بل المعنى: من كان يريد العزة في الدنيا والآخرة فليطلبها منه سبحانه وتعالى، لانه معدن ومصدر العزة كلّها، فان العزة له جميعاً، فلا توجد عند غيره، بنحو الاستقلال وبالذات، فالعزة الاستقلالية والذاتية لله ولا غير، واما العرضية والامكانية، فانه من الله سبحانه، فمن أراد عزةً بلا عشيرة وهيبةً بلا سلطان، فليطلب ذلك من الله، قولاً وعملاً، بان يخرج من ذلّ معصيته إلى عزّ طاعته، فان طاعة الله عزّ وشرف وكرامة.

فوضع قوله: ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾ في جزاء الشرط حيث قال: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ﴾ فالجزاء ان يطلبه من الله، إلّا أنّه وضع نحو في جزاء الشرط ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾ من قبيل وضع السبب موضع المسبب، وهذا من الاستعمال المجازي.

والمعنى: أُطلب العزة من الله واكتسابها منه بالعبودية التي لا تحصل إلّا بالايمان الراسخ، والعلم النافع، والعمل الصالح.

وأمّا (الصعود إلى الله) فهو بمعنى تقرّبه منه تعالى، فان الله قريب الينا، وإنّه أقرب اليكم من حبل الوريد، إلّا ان العبد بمعاصيه وغفلته يبتعد عن ربّه، فلابدّ من توبةٍ نصوحٍ وعملٍ صالح يقرّبه من مولاه، حتى يعرج إليه بعبادته كصلاته (الصلاة معراج المؤمن) قاب قوسين أو أدنى من العلى الأعلى، فيكون في مقعد

(١) المنافقون: ٨.

صدق عند مليك مقتدر، وهذا من القرب المعنوي والتجردي، حتى يرى العبد الصالح نفسه في حضرة الله القدسيّة، ويصل إلى مقام الفناء في إرادته والبقاء به جلّ جلاله، فيتقرب منه تعالى إعتلاء، وهو العلي الأعلى رفيع الدرجات.

فالعمل الصالح يقرّب العبد من ربّه، وإذا كان الكلم الطيب والعمل الصالح يصعد إلى الله ويقرب منه علواً، فان الله سبحانه في كل مكان داخل في الاشياء لا كدخول شيء في شيء وخارج عنها لا كخروج شيء عن شيء، ولا يحدّ بحدّ، ولا في جهة من الجهات الامكانية والمخلوقة لله (ليس كمثله شيء)، فاينما تُولّوا وجوهكم فَثَمَّ وجه الله، وإنّما يشار إلى العلو لعلوه وتعاليه في ذاته وصفاته وأفعاله، فسبحان ربي الأعلى وبحمده. وإذا يصعد إليه العمل الصالح، فإنه يصعد فاعله معه، لاتحاد الفعل مع الفاعل. فالعمل الصالح يصعد بصعود فاعله وعامله، وهذا هو البيت القصيد فلا تغفل.

وأمّا (الكلم) فلغة: إسم جنس جمعي يذكر ويؤنث، ومفرده (كلمة) مثل (الشجر والشجرة) فيذكر ويؤنث ويقال هذا كلم وهذه كلمة، وكل جمع ليس بينه وبين مفرده وواحده إلّا الهاء والتاء المدورة فانه يجوز فيه التذكير والتأنيث.

وفي المصطلح: الكلم والكلام ما يفيد معنى تاماً كلامياً يحسن السكوت عليه كقولنا (زيد قائم).

و(الطيب) ما يلائم النفس ولا ينفر منه الطبع السليم، فطيب الكلم ما يتلائم مع نفس سامعه ومتكلمه، بحيث تنسبط منه وتستلذه وتستكمل به، وذلك إنّما يكون بإفادته معنىً حقاً، فيه سعادة النفس وفلاحها في الدنيا والآخرة. وعلى كل الأصعدة والمستويات.

وبهذا يظهر أنّ المراد من الكلم الطيب ليس مجرد اللفظ ولقلقة اللسان، بل بما ان له معنى طيباً يستلذ به كالكلام بين العاشق والمعشوق.

والمقصود من الكلم الطيب في هذه الآية كما هو الظاهر هي الاعتقادات الحقة التي تسعد الانسان بالاذعان والتصديق لها، وبناء عمله عليها، والجامع لها والمتيقن منها (كلمة التوحيد) (لا اله الّا الله) فمن قالها مخلصاً، وعلامة إخلاصه الورع عن محارم الله، فقد دخل الجنة وسعد في الدارين، إليها ترجع سائر المعتقدات الحقة من النبوة والإمامة والمعاد والعمل باركان الدين وفروعه وأخلاقه، وهي المشمولة لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾[1].

وتسمية الاعتقاد قولاً وكلمةً أمر شائع بينهم.

واما (الصعود) فانه يقابل الهبوط والنزول، والصعود حركة مستقيمة أو غيرها من التحت إلى الفوق، ومنه ـ عند العرفاء ـ القوس الصعودي، ويقابله القوس النزولي.

وصعود الكلم الطيب إلى الله تعالى هو تقربه منه تعالى إعتلاءً ـ لا بالمعنى الحضور الجسماني والقرب المادي تعالى الله عن ذلك علواً ـ وهو العليّ الأعلى رفيع الدرجات إنه إله في السماء وإله في الأرض، وأينما تولّوا وجوهكم فثمّ وجه الله جلت جلاله.

ثم إذا كان اعتقاداً قائماً بمعتقده، وفعلاً متّحداً بفاعله، فتقرب الفعل يعني تقرب الفاعل نفسه، فتقربه منه تعالى تقرب المعتقد به منه.

---

(١) ابراهيم: ٢٤ ـ ٢٥.

وقد فسّروا صعود الكلم الطيب بقبوله تعالى له، وهذا من التفسير باللازم، فان القبول لازم الصعود.

واما (الصالح) فيقابله الطالح، وهو بمعنى ما فيه الصلاح والإصلاح، لما فيه من الخير والبركة والنور، وهو العمل الخالص.

ثم لو كان الايمان والاعتقاد صادقاً في نفسه، فانه يصدّقه العمل، ولم يكذبه، أي يصدر عنه العمل على طبقه فيكون العمل مصدقاً لمعتقده الصادق، فالعمل من فروع العلم وآثاره التي لا تنفك عنه، وحينئذٍ كلّما تقرّر العمل زاد الاعتقاد رسوخاً وجلاءً، وقوي في تأثيره، إثر التفاعل الصادق بين العامل والعمل، وبين الايمان والفعل.

فالعمل الصالح يرفع الكلم الطيب، وهو العمل الحري بالقبول الذي عليه طابع العبودية والاخلاص لوجه الله الكريم (إنّما نطعمكم لوجه الله لا نريدُ منكم جزءاً ولا شكوراً) فمثل هذا العمل الصالح الخالص يعين الاعتقاد والايمان الحق، في ترتب أثره عليه، وهو الصعود إليه تعالى، وهو المقصود إليه بالرفع.

فالعمل الصالح اي المخلص يرفع الكلم الطيب إلى العلي الاعلى رفيع الدرجات جلّ جلاله.

وقد تبين بما ذكر معنى قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ فان الضمير في (إليه) يرجع لله سبحانه، والمراد بالكلم الطيب الاعتقاد بالحق كالتوحيد ولوازمه، وبصعوده تقربه منه تعالى، وبالعمل الصالح، ما كان على طبق الاعتقاد الحق، وإنّه يلائمه ويناسبه مفهوماً ومصداقاً، وان الفاعل في (يرفعه) ضمير مستكن يرجع إلى العمل الصالح، وضمير المفعول به راجع إلى الكلم الطيب.

هذا ما ذهب إليه المفسر الكبير سيدنا العلامة الطباطبائي رحمه الله في تفسيره القيم[١] وللمفسري الآية أقوال:

فقد قيل: إنّ المراد بصعود الكلم الطيب قبوله والإثابة عليه، كما تقدمت الاشارة إليه.

وقيل: المراد صعود الملائكة بما كتب من الايمان والطاعات إلى الله سبحانه.

وقيل: المراد صعودهم به إلى السماء، فسمى الصعود إلى السماء صعوداً إلى الله مجازاً من باب علاقة المشارفة من المعنوية.

وقيل: إنّ فاعل (يرفعه) ضمير عائد إلى الكلم الطيب، وضمير المفعول للعمل الصالح، والمعنى ان الكلم الطيب يرفع العمل الصالح، أي إنّ العمل الصالح لا ينفع إلّا إذا صدر عن التوحيد.

وقيل: فاعل (يرفعه) ضمير مستتر راجع إليه تعالى، والمعنى: العمل الصالح يرفعه الله.

قال العلامة الطاطبائي رحمه الله: وجملة هذه الوجوه لا تخلو من بعد، والأسبق إلى الذهن ـ وهو من التبادر المفيد للاستعمال الحقيقي على القول المشهور ـ ما قدّمناه من المعنى[٢] ـ فتدبّر.

---

(١) الميزان: ٢٢: ٢٤.

(٢) اقتباس من تفسير الميزان: ٢٢: ٢٢ ـ ٢٤.

الاخلاص في مدرسة فاطمة الزهراء عليها السلام

لقد وقفنا ولو إجمالاً على عظمة الاخلاص والمخلصين ومراتبهم ومجاهدتهم لتقرّبهم من العليّ الأعلى، كما عرفنا الرياء وآفاته، ولوازمه من الكذب والعجب والخيلاء وحبّ السمعة والاطراء وحب الدنيا الدّنية واتباع الهوى والاغترار بالأباطيل والمنى، وإرتكاب الذنوب والفواحش ماظهر منها وما بطن، وإتباع خطوات الشيطان ووساوسه وتسويلاته، وإغوائه، فانه أقسم بعزة الله أن يغوى البشر جميعاً، إلّا من كان مخلصاً، قد طوى مراحل الاخلاص السبع.

فبالاخلاص يكون الخلاص من الشيطان وحزبه ووساوسه، وبالاخلاص تنال الدرجات الرفيعة والمقامات العالية، وإنّ للاخلاص ثمرات وعوائد وفوائد جمّة لا تعدّ ولا تُحصىٰ في الدنيا والآخرة، ومن فوائده في الدنيا، ما أشارت إليه سيدة نساء العالمين، بهجة قلب المصطفى وروحه التي بين جنبيه، الحوراء الانسية، الراضية المرضية، الخالصة والمخلصة، فاطمة الزهراء عليها السلام فانه من أصعد إلى الله سبحانه خالص عباداته، فانه يهبط عليه أفضل مصلحته.

ويبد ولي إن أفضل المصلحة لا ينحصر بدنياه، بل يعمّ الآخرة، للاطلاق

أوّلاً، ولإنّ الدنيا مزرعة الآخرة ومتجر أولياء الله ثانياً، فمن أفضل مصلحته ما يسعده في دنياه وآخرته، في حياته الفردية والاجتماعية، وبكلّ أبعادها الثقافية والعلمية والاخلاقية والسياسية والاقتصادية وغيرها.

والعمدة للمخلص أن يصعد خالص عباداته حتى يصل إلى عرش الله سبحانه، ويقبله، وإلّا فكما ورد في الحديث النبوي الشريف، كيف تضرب الصلاة على رأس صاحبها، فويل للمصلين الذين عن صلاتهم ساهون، ويمنعون الماعون، وفي عباداتهم يُراءون.

قال سبحانه وتعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لاَيُظْلَمُونَ﴾[1].

فكم من يعمل الحسنات إلّا إنّه يحرقها بالسيئات والمعاصي قبل أن تصل إلى الله سبحانه، وتنفعه يوم القيامة. فان السيئات يذهبن الحسنات، كما ان الحسنات يذهنب السيئات، فمن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، ويضاعف الله لمن يشاء بما يشاء، والله وليّ المخلصين، ومن أصعد إليه خالص أعماله أنزل عليه أفضل مصلحته في دنياه وفي آخرته.

ثم لا يتبادر إلى الذهن إنّ أفضل مصلحته يعني الأموال الطائلة والقناطير المقنطرة، والمراكب البهيّة، والقصور المشيّدة، بل ربما كل هذه ـ كما هو الغالب ـ إنّما يكون من باب ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً﴾[2] يكون ممّا يوجب شقائه وحرمانه من النّعيم يوم الآخرة.

---

(١) الانعام: ١٦٠.

(٢) آل عمران: ١٧٨.

بل الغنىٰ والفقر من أدوات الامتحان الإلهي، ليبلوكم أيكم أحسن عملاً، فمن الناس من يصلحه الغنىٰ الذي فيه السخاء والسعة على الفقراء، فان الاغنياء وكلاء الله، والفقراء عياله، وقد أمر الله وكلائه أن يسعوا على عياله، بالمال وبالاخلاق الطيّبة، إلّا ان كثير من الوكلاء من يخون الأمانة والوكالة ولا يؤدّي حقوق الله جلّ جلاله، فيخسر في الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين.

ومن المؤمنين من يصلحه الفقر شريطة ان يكون قانعاً وراضياً بمشية الله سبحانه ـ فان القناعة كنز لايفنى ـ، وصابراً على قدره وقضائه، وإلّا فان جزع وتضجّر ولم يشكرو لم يصبر، فانه كذلك يكون كالغني الخاسر، يشقى في دنياه وفي آخرته...

فأفضل المصلحة، ما يجمع بين الشكر والصبر، وكل واحد منهما نصف الايمان، إن في ذلك لآيات لكل صبّار شكور.

فالمفروض والمقصود أن نصعد خالص الاعمال و (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) اى العمل الخالص يرفع تلك الكلمة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها، والله يضاعف لمن يشاء إن الله يتقبل من المتقين، فالاخلاص ثمرة التقوى.

في عصر الإمام زين العابدين عليه السلام كتب على ستار الكعبة.

لا تُدبّر لك أمراً فأولى التدبير هلكى
وكلّ الأمر إلى من هو أولى منك أمراً

ومن مقامات الاخلاص التوكل على الله سبحانه، فانه هو الذي يتولى المؤمنين المخلصين والمؤمنات المخلصات، ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ

﴿الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾[1] من نور الاخلاص والعلم والصفات الحميدة إلى ظلمات الجهل والرياء ومستلزماته من النفاق والسمعة والكذب وغير ذلك من الرذائل الاخلاقية إلى توجب حبط العمل وبطلانه، وتسوق المرائي إلى جهنم، وبئس الورد المورود.

فالعمدة: إنّ الله سبحانه العليم بكل شيء، والقادر على كلّ شيء، المدبّر الكريم، واللطيف الخبير، يتولى أمر عبده المخلص، فينزل عليه من الرحمة الرحيمية، الخاصة بالمؤمنين في دنياهم وفي آخرتهم، والقريبة من المحسنين، فيصلح حاله في الدنيا والآخرة، ويصلح سريرته وعلانيته، ويصلح بينه وبين الناس، كما يصلح دنياه وآخرته وذلك هو الفوز العظيم.

ثم إذا قرأنا حياة الزهراء عليها السلام نجد بوضوح كيف الاخلاص يموج في سلوكها موجاً، فإنها من أكبر آيات الإخلاص النظري والعملي. فاذا قالت: (من أصعد إلى الله عزوجل خالص عباداته أهبط الله إليه أفضل مصلحته) فانها طبقت ذلك في حياتها القدسيّة، فإنّها القدوة الصالحة والأسوة الحسنة، إذ أنها من الثوابت في حياتها القيادية، فنرجع اليها في حياتنا على طول التاريخ، إذ ان الثوابت في كل شيء لا يُحدّ بزمان ولا بمكان، وأنّه غير قابل للتقيد والتخصيص، فحياة المعصومين عليهم السلام في قدوتهم وأسوتهم (فبهداهم إقتده) إنما هو من الثوابت التي ترجع اليها المتغيّرات، جيلاً بعد جيل، رجالاً ونساءاً، صغاراً وكباراً.

---

(١) البقرة: ٢٥٧.

ومن هذا المنطلق يقول قطب عالم الامكان في عصر الغيبة، حجة الله وبقيته العظمى، الذي بيمنه رزق الورى وبوجوده ثبت الأرض والسماء. مولانا وإمام زماننا المهدي الموعود المنتظر عليه السلام: (وفي إبنة رسول الله صلى الله عليه وآله لي أسوة حسنة)[1] فاذا كان صاحب الأمر يقتدى بأُمّه الزهراء عليها السلام، وإنها حجة الله على الحجج ـ كما قال الإمام العسكري عليه السلام ـ فانه بطريق أولى ـ أي بالاولوية القطعيّة ـ أن نقتدى بها ونتأسي بأقوالها وأفعالها وحياتها الخالصة والمباركة الطيبة.

سأل بُزل الهروي الحسين بن روح ـ وهو أحد النّواب الاربعة في الغيبة الصغرى ـ فقال: كم بنات رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: أربع، فقال: أيهن أفضل؟ فقال: فاطمة.

قال الهروي: ولِمَ صارت أفضل وكانت أصغر هنّ سنّاً وأقلهنّ صحبة لرسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: لخصلتين خصّها الله بهما: إنها ورثت رسول الله صلى الله عليه وآله ونسل رسول الله صلى الله عليه وآله منها، ولم يخصّها بذلك إلّا بفضل إخلاص عرفه من نيّتها[2].

أقول: من الواضح إنها لم تكن لتصل إلى هذه المرتبة الرفيعة والمقام السامي لانها بنت رسول الله صلى الله عليه وآله نسباً وحسب، فانه كان للرسول الله بنات أربع ـ كما في الخبر أعم من البناب نسباً أو الرباتب على إختلاف القولين ـ، وكان له زوجات عديدة.

إنّما حازت هذه المرتبة العظمى عندالله سبحانه بفضل إخلاصها الخالص، وزهدها الصادق، وعبادتها الخالصة، وجهادها في سبيل الله عزوجل، وصبرها

(١) البحار: ٥٣: ١٧٩.

(٢) البحار: ٤٣: ٣٧.

وتحمّل المصائب العظمى التي تخشع منها الجبال وتتصدّع، كل ذلك في سبيل الحق جلّ جلاله، لقد إختارت مسارها في الحياة بإرادتها، وقررّت أن تكون سيدة المواقف، فإنّها سيدة نساء العالمين من الاولين والآخرين في الدنيا والآخرة.

ومن هنا إستحقت أن تكون القدوة والاسوة والرمز الخالد في المجتمع الإسلامي، وأن يمنحها الله فضل أُمومة الاوصياء عليهم السلام، فهي أُم الأئمّة النجباء عليهم السلام، كما أعطاها شرف الربط بين نوري وعصمتي النبوة والإمامة، فكانت المجمع النوري ومشكاة الأنوار، بنت المصطفى وحليلة المرتضى.

بنت من ؟، أمّ من ؟، حليلة من ؟ ويل لمن سنّ ظلمها وأذاها

وأمّا عبادتها عليها السلام فيكفيك شواهداً:

١ ـ قال العلامة ابن فهد الحلي: وكانت فاطمة عليها السلام تنهج في الصلاة من خيفة الله تعالى[١].

٢ ـ عن الإمام الحسن بن علي عليه السلام قال: رأيت امّي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعتها، فلم تزل راكعة ساجدة، حتى اتّضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات، وتسميّهم وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء ـ وهذا ايضاً من علامات المخلصين والمخلصات ان يفكّر بالآخرين قبل ان يفكّر بنفسه ـ فقلت لها: يا أمّاه لِمَ لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك ؟ فقالت: يا بُني، الجار ثمّ الدار[٢].

---

(١) فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى: ٢١٤ عن عدة الداعي: ١٣٩. النهج ـ بالتحريك ـ والنهيج: تواتر النفس من شدة الحركة.

(٢) البحار: ٤٣: ٨١.

٣ ـ الإمام محمد بن علي بن الحسين عليه السلام قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله سلماناً إلى فاطمة، فوقفت بالباب وقفة حتى سلّمت، فسمعت فاطمة تقرأ القرآن من جوّا ـ اي من داخل البيت والحُجرة ـ وتدور الرحى من برّا ـ أي من ظاهر وخارج الغرفة والبيت ـ ما عندها أنيس.

وقال في آخر الخبر: فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: يا سلمان، إبنتي فاطمة ملأ الله قلبها وجوارحها إيماناً إلى مشاشها ـ اي إلى رأس العظم اللّين ـ تفرّغت لطاعة الله فبعث الله ملكاً إسمه زوقائيل ـ وفي خبر آخر ـ جبرئيل عليه السلام ـ فأدار لها الرحى، وكفاها الله مؤونة الدنيا مع مؤونة الآخرة[1].

٤ ـ وروى أنها عليها السلام ربما اشتغلت بصلاتها وعبادتها، فربما بكى ولدها، فرؤى المهد يتحرّك، وكان ملك يحرّكه.

٥ ـ وفي حديث: فسأل النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام بعد زواجه من فاطمة عليها السلام: كيف وجدت أهلك؟ قال: نعم العون على طاعة الله، وسئل فاطمة؟ فقالت: خير بعل.

أقول: إنّ هذه النقطة الرائعة والخالدة من حياة معصومين علي وفاطمة عليهما السلام خير منطلق لان يكتب حولها المؤلفات القطورة، فانها تشير إلى (الاسرة الايمانية) التي يسودها طاعة الله، وان من سعادة الزوج ان تكون له زوجة صالحة تعينه على طاعة الله وعلى أمر دينه ودنياه وآخرته، كما أنّ من سعادة الزوجة أن يكون لها زوجاً خيراً صالحاً يعين زوجته على طاعة الله، فكل واحد يكمل الآخر في وصوله إلى كماله وسر خلقته وفلسفة حياته، الاوهى عبادة الله

(١) المناقب: ٣: ٣٣٧.

الخالصة بالمعرفة الكاملة، إنطلاقاً من قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

٦ ـ قال الحسن البصري: ما كان في هذه الأمة أعبد من فاطمة، كانت تقوم حتّى تُورَّم قد ماها[١].

أقول: كانت كأبيها رسول الله صلى الله عليه وآله فانه كان يعبدالله حتى يتورّم فدماه، فنزل قوله تعالى: ﴿طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ﴾ اى لتهلك نفسك في العبادة.

٧ ـ وفي حديث طويل عن النبي صلى الله عليه وآله: وامّا إبنتي فاطمة عليها السلام، فانها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وهي بضعة منّي، وهي نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي روحي التي بين جنّبي، وهي الحوراء الانسية، متى قامت في محرابها بين يدي ربّها جلّ جلاله زهر نورها لملائكة السماء كما يزهرنور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله عزوجل لملائكته: يا ملائكتي أُنظروا إلى أمتي فاطمة سيدة إمائي قائمة بين يديّ، ترتعد فرائصها من خيفتي، وقد أقبلت بقلبها على عبادتي، أُشهدكم أنّي قد آمنتُ شيعتها من النار.

هذه هي فاطمة الزهراء العابدة والمخلصة، وأمّا علمها ومكارم أخلاقها وفضائلها ومناقبها فحَدّث ولا حرج، فانها حقيقة ليلة القدر، وسرّ الوجود، ومشكاة الأنوار، وعصمة الله الكبرى، ومجمع نوري النبوة والإمامة، وهي الصديقة الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرون الأُولى، فهي صنع التوحيد، وغرس النبوة، وشجرة الإمامة، وثمرات المعاد.

---

(١) البحار: ٤٣: ٨٤.

بـــأبي فـــاطم وقـــد فُـــطمت ... بـــاسمها نـــار حشـــرها ولظـاها
هـــي والله كـــوثر قـــد أعـــدّت ... لبـــــنيها وكـــل مـــن والاهـــا
هـــي عـــند الإله أعـــظم خـــلقٍ ... وبـــها دار فـــي القـــرون رحـاها
بـضعة المـصطفى عـقيلة وحـي ... كـــأبيها إلهـــها أو حـــاها
هل يكن في الوجود مـنها شـبيه ... قـــل أبـــوها وبـــعلها وابـناها[1]

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ولو كان الحُسن شخصاً لكـان فـاطمة، بـل هـي أعظم، إن فاطمة إبنتي خير أهل الارض عنصراً وشرفاً وكرماً»[2].

مشكـــاة نـــور الله جـــلّ جـلاله ... زيـــتونة عـــمّ الورى بـــركاتها
هي قطب دائـرة الوجـود ونـقطة ... لمـــا تـــنزلت أكـثرت كـثراتـها
هي أحمد الثاني وأحـمد عـصرها ... هي عنصر التوحيد في عـرصاتها

(١) فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى: ٧.
(٢) فرائد السمطين: ٢: ٦٨.

ويطعمون الطعام على حبّه

من أروع آيات الاخلاص في حياة فاطمة الزهراء عليها السلام، ما أخبر الله عن مقامها الرفيع في كتابه الصادق في سورة الدّهر (الإنسان) وفي قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً * إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾[1].

عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ الآية، قال: مرض الحسن والحسين عليهما السلام فعادهما رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه أبوبكر وعمرو عادهما عامة العرب فقالوا: يا أباالحسن لو نذرت على ولديك نذراً، فكلّ نذر لا يكون له وفاء فليس بشيء، فقال علي عليه السلام: عليّ لله إن برأ ولداي ممّا بهما صمت لله ثلاثة أيام شكراً. وقالت فاطمة كذلك، وقالت الجارية ـ يقال لها فضة ـ كذلك، فألبس الغلامان العافية، وليس عند آل محمد قليل ولا كثير، فانطلق علي عليه السلام إلى شمعون بن حانا اليهوديّ، فاستقرض منه ثلاثة أصوع من شعير، فجاء به إلى فاطمة، فقامت صاع فطحنته وخبزته خمسة أقراص لكلّ واحد منهم قرص، وصلّى

---

(١) الانسان: ٨ـ ١٠.

علي عليه السلام المغرب مع النبي صلى الله عليه وآله ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين أيديهم، فجاء سائل أو مسكين فوقف على الباب وقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمّد، مسكين من مساكين المسلمين، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة، فسمعه عليّ عليه السلام فقال:

فاطمة ذات المجد واليقين ... يا بنت خير النّاس أجمعين
أماترين البائس المسكين ... قد قام بالباب له حنين
يشكو إلى الله ويستكين ... يشكو الينا جائع حزين ...

فاجابته فاطمة عليها السلام:

أطعمه ولا أبالي الساعة ... أرجو إذا أشبعت ذا مجاعة
ان ألحق الأخيار والجماعة ... وأسكن الخُدر ولى شفاعة

قال: فاعطوه الطعام ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا إلّا الماء القراح.

وفي اليوم الثاني كذلك فعلت فاطمة الزهراء، وجاء هم يتيم من أولاد المهاجرين استشهد والده فاطعموه وباتوا جياعاً، وكان الأمر كذلك في اليوم الثالث، فاطعموا الأسير، فلم يفطروا الاعلى الماء ولثلاث ليالٍ فلما كان اليوم الرابع دخل علي عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله يحمل ابنيه كالفرخين، فلمّا رآهما رسول الله صلى الله عليه وآله قال: واين ابنتي؟ قال: في محرابها ـ فقام رسول الله صلى الله عليه وآله عنه فدخل عليها ولقد لصق بطنها بظهرها، وغارت عيناها من شدّة الجوع، فقال النبي صلى الله عليه وآله: واغوثاه بالله: آل محمد يموتون جوعاً! فهبط جبرئيل وهو يقرء: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً * عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا

تَفْجِيراً * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُوراً﴾[1].

فهذه القصة وأمثالها تدل على قمة الاخلاص في البيت العلوي الفاطمي، ولا يخفى إنّ محور القصة هي فاطمة الزهراء عليها السلام وإخلاصها، ومن ثم لم يذكر في السورة من نعيم الجنة الحوريّات، تكريماً لفاطمة الزهراء عليها السلام فانها الحوراء الأنسيّة. إنّها وجود ملكوتي تلبست بلباس الإنسانيّة، لا يعرفها حق المعرفة إلّا الله والراسخون في العلم محمّد وآل محمّد الأئمّة الطاهرين عليهم السلام، وعلى معرفتها دارت القرون الأُولى، وقد اختصّها الله بخصائص لم يشترك معها أحد من النساء لا منم الأولين ولا من الآخرين، وفي بعضها لم يشترك معها حتّى الرجال، فدنت وتدلّت في مقاماتها ومنازلها الرفيعة في الدنيا والآخرة قاب قوسين أو أدنى[2].

«اللّهم صلّ على فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها والسّر المستودع فيها بعدد ما أحاط به علمك وأحصاه كتابك» آمين يا ربّ العالمين.

---

(١) تذكرة سبط ابن الجوزي: ٣١٢ ـ ٣١٥ والآيات في سورة الانسان من آية ٥ إلى آية ٢٢) فراجع.

(٢) ذكرت تفصيل ذلك في كتاب (الخصائص الفاطميّة) فذكرت أكثر من سبعين خصيصة استخرجتها من الآيات الكريمة والروايات الشريفة. فراجع.

ما لشيعة فاطمة الزهراء عليها السلام ؟

إن شيعة فاطمة هم المخلصون حقاً، ومن يحذو حذرهم من الموالين والمحبّين الأمثل فالأمثل. فمن أزداد معرفة وحبّاً بفاطمة الزهراء عليها السلام، إزداد عبادة وإخلاصاً لله سبحانه، فأين الفاطميون ؟ ثم أين الفاطميّون ؟!!

١ ـ البحار بسنده عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر الإمام الباقر عليه السلام يقول: لفاطمة وقفة على باب جهنّم، فإذا كان يوم القيامة كتب بين عيني كلّ رجلٍ: مؤمن أو كافر، فيؤمر بمحبّ قد كثرت ذنوبه إلى النار، فتقرأ بين عينيه محبّاً، فتقول: إلهي وسيدي سمّيتني فاطمة، وفطمت بي من تولّاني وتولّى ذرّيتي من النار، ووعدك الحق، وانت لا تخلف المعياد.

فيقول الله عزوجل: صدقت يا فاطمة إنّي سميتك فاطمة، وفطمت بك من أحبّك وتولّاك وأحبّ ذريّتك وتوّلاهم من النار، ووعدى الحق وأنا لا أُخلف الميعاد، وإنّما أمرت بعبدي هذا إلى النار لتشفعي فيه، فأشفعك، ليتبين لملائكتي وأنبيائي ولرسلي وأهل الموقف موقفك منّي ومكانتك عندي، فمن قرأت بين عينيه مؤمناً، جذبت بيده وأدخلته الجنة[1].

---

(١) البحار: ٨: ٥١.

٢ ـ عن النبي صلى الله عليه وآله قال: إنّ الله تعالى إذا بعث الخلائق من الاولين والآخرين نادى منادي ربّنا من تحت عرشه: يا معشر الخلائق، غضوا أبصاركم لتجوز فاطمة بنت محمد سيدة نساء العالمين على الصراط، فتغض الخلائق كلّهم أبصارهم، فتجوز فاطمة على الصراط، لا يبقى أحد في القيامة إلّا غضّ بصره عنها، إلّا محمد وعلي والحسن والحسين والطاهرين من أولادهم، فانهم أولادها، فاذا دخلت الجنة بقي مرطها ـ بالكسر، كساء من صوف أو غيره تلقيه المرأة على رأسها ـ ممدوداً على الصراط، طرف منه بيدها وفي الجنة، وطرف في عرصات القيامة، فينادي منادي ربنا: أيّها المحبّون لفاطمة تعلّقوا بأهداب ـ جمع هدبة بالضمّ، طرة الثوب ـ مرط فاطمة سيدة نساء العالمين، فلا يبقى محبّ فاطمة إلّا وتعلّق بهدبة من أهداب مرطها، حتى يتعلق بها أكثر من ألف فئام وألف فئام، قالوا: كم الفئام الواحد؟ قال: بألف ألف، ينجون بها من النار[1].

٣ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال جابر لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك يا ابن رسول الله حدثني بحديث في فضل جدّتك فاطمة إذا انا حدّثتُ به الشيعة فرحوا بذلك، فقال أبوجعفر عليه السلام: حدثني أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إذا كان يوم القيامة نصب للأنبياء والرسل منابر من نور، فيكون منبرى أعلى من منابرهم يوم القيامة، ثم يقول الله: يا محمد اخطب، فاخطب بخطبة لم يسمع أحد من الأنبياء والرسل بمثلها ـ والحديث طويل فيه نصب المنبر لأمير المؤمنين وخطبته ثم للحسن والحسين وخطبتهما، ثم ينادي بالنساء المؤمنات فاطمة

(١) البحار: ٨: ٦٨.

وخديجة ومريم وآسية وامكلثوم وام يحيى بن زكريا، ثم كيف تدخل فاطمة المحشر ـ فاذا صارت عند باب الجنّة تلتفت فيقول الله: يا بنت حبيبي ما التفاتك، وقد أمرت بك إلى جنّتي؟ فتقول: يا رب أحببت أن يعرف قدري في مثل هذااليوم، فيقول الله: يا بنت حبيبي إرجعي فانظري من كان في قلبه حبّ لك أو لأحد من ذريّتك خذي بيده فأدخليه الجنة.

قال أبوجعفر الإمام الباقر عليه السلام: والله يا جابر إنها ذلك اليوم لتلتقط شيعتها ومحبّيها كما يلتقط الطير الحب الجيد من الحبّ الرديّ، فإذا صار شيعتها معها عند باب الجنة يلقي الله في قلوبهم أن يلتفتوا، فإذا التفتوا يقول الله: يا أحبائي ما التفاتكم، وقد شفّعتُ فيكم فاطمة بنت حبيبي؟ فيقولون: يا ربّ أحببنا أن يعرف قدرنا في مثل هذا اليوم، فيقول الله: يا أحبّائي إرجعوا وانظروا، من أحبّكم لحبّ فاطمة، انظروا من أطعمكم لحبّ فاطمة، انظروا من كساكم لحبّ فاطمة، انظروا من سقاكم شربةً في حبّ فاطمة، أُنظروا من ردّ عنكم غيبة في حبّ فاطمة، فخذوا بيده وأدخلوه الجنة.

قال أبوجعفر عليه السلام: والله لا يبقى في الناس إلّا شاكّ أو كافر أو منافق، فإذا صاروا بين الطبقات نادوا كما قال الله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ فيقولون: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال أبوجعفر عليه السلام: هيهات هيهات منعوا ما طلبوا (ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون)[1].

٤ ـ وعن ابن عباس في حديث مفصل عن أميرالمؤمنين علي عليه السلام يتحدث

(١) البحار: ٨: ٥٣ ـ ٥٥.

عن عظمة الزهراء عليها السلام يوم المحشر، وكيف تبكي ولدها الحسين عليه السلام ويغضب الله لغضبها، ويدخل قتلة الحسين وأبناءهم وأبناء ابناهم النار، ثم يقول جبرئيل لفاطمة الزهراء عليها السلام: يا فاطمة سلي حاجتك، فتقول: يا رب شيعتي، فيقول الله: قد غفرت لهم، فتقول: يا رب شيعة ولدي فيقول الله: قد غفرت لهم، فتقول: يا رب شيعة شيعتي، فيقول الله: انطلقي فمن اعتصم بك فهو معك في الجنة، فعند ذلك تودّ الخلائق انهم كانوا فاطميين، فتسيرين ومعك شيعتك وشيعة ولدك، وشيعة أميرالمؤمنين آمنة روعاتهم، مستورة عوراتهم، قد ذهبت عنهم الشدائد، وسهلت لهم الموارد، يخاف الناس وهم لا يخافون، ويظمأ الناس وهم لا يظمأون[1].

٥ ـ وعن سلمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا سلمان من أحبّ فاطمة إبنتي فهو في الجنة معي، ومن أبغضها فهو في النار، يا سلمان حبّ فاطمة ينفع في مائة موطن من المواطن، أيسر ذلك المواطن: الموت والقبر والميزان والمحشر والصراط والمحاسبة ... .

٦ ـ عن الصادق عليه السلام في تفسير (حيّ على خير العمل) قال خير العمل الولاية، وفي خبر آخر: خير العمل برُّ فاطمة وولدها. ونحوها غيرها من الأخبار المعتبرة الدالة على عظمة الزهراء عليها السّلام، وفضل محبّتها، وإنّ حبها كحب أميرالمؤمنين علي عليه السلام الذي لولاه لما كان لفاطمة كفو، فان حبّه حسنة لا تضر معها سيئة، كالتوحيد، وبغضه سيئة لا ينفعها حسنة كالشرك، فان

(١) البحار: ٨: ٥٣ ـ ٥٥.

أحبّ الأشياء إلى الله التوحيد، وأبغضها الشرك ويغفر ما بينهما، فلا تضر السيئة التوحيد، ولا تنفع الحسنة الشرك، فانه يوجب حبط العمل وبطلانه كما أشرت إليه في مؤلفاتي تكراراً.

فالاخبار دلت على منزلة الزهراء عليها السلام وموقفها ومقامها عندالله تعالى، وأنها تلتقط محبّها وشيعتها من النار، كما يلتقط الطير الحبّ الجديد عن الحبّ الردىء، وإن حبّها ينفع في مأة موطن، وهذا يدل على إنّ حبها بذاتها ايمان وحسنة، كما إن بغضها كفر وسيئة ونفاق، فالاصل حبنا لأهل البيت عليهم السلام وإنّما العمل هو الفرع وثمرة الحبّ والولاء، وما قبول الاعمال والأجر والثواب، والخلود في الجنّة إلّا على حبّ محمد وآل محمد عليهم السلام، وهذا ما ثبت بالأدلّة القاطعة من الروايات المعتبرة في مدرسة أهل البيت عليهم السلام ـ كما ذكرت تفصيل ذلك في كتاب: (الأصل حبنا أهل البيت عليهم السلام) فراجع.

يوم على آل الرسول عظيم

إن هذه الايام والليالي باسم الفاطمية الثانية نعيش فيها الحزن والآلام، ونقيم مجالس العزاء والمآتم في ربوع الأرض بذكرى شهادة مولاتنا وسيدتنا الحوراء الأنسية، الراضية المرضية، الصديقة الشهيدة فاطمة الزهراء سيدة النساء من الأولين والآخرين.

واكتفي بمقولة العلامة الأمين ﷺ بما يرويه من قصة وصية الزهراء لأميرالمؤمنين في آخر أيّامها، ثم كيف ماتت شهيدة مظلومة، قد غصب حقها، واسقطوا جنينها، وكسروا ضلعها، وأحرقوا بيتها، ثم دفنها، وأخفي قبرها، حتى يظهر ولدها المهدي القائم ﷺ لينتقم من أعدائها، اللهم عجل فرجه وسهل مخرجه واجعلنا من خلّص شيعته وانصاره والمستشهدين بين يديه.

«قال العلّامة الأمين ﷺ: ان فاطمة ﷺ لم تزل بعد وفاة أبيها ﷺ مهمومة مغمومة محزونة مكروبة باكية، ثم مرضت مرضاً شديداً ـ إثر ظلم الضالمين من كسر الضلع واسقاط الجنين وضربة العضد ولطمة العين ـ ومكثت أربعين ليلة في مرضها إلى أن توفيت صلوات الله عليها ـ بعد أبيها بأربعين يوم على رواية، وعلى

رواية أخرى خمسة وسبعين يوماً، وفي ثالثة خمسة وتسعين يوماً ـ فلمّا نعيت إليها نفسها دعت امّ أيمن وأسماء بنت عميس، ووجهت خلف علي فأحضرته، فقالت: يا ابن عمّ إنّه قد نعيت إليّ نفسي، وإنّني لا أرى ما بي إلّا أنّني لا حقة بأبي ساعة بعد ساعة، وأنا أوصيك بأشياء في قلبي. قال لها عليٌّ عليه السلام: أوصيني بما أحببت يا بنت رسول الله، فجلس عند رأسها، وأخرج من كان في البيت، ثمّ قالت:

يا ابن عمّ ما عهدتني كاذبة ولا خائنة، ولا خالفتك منذ عاشرتني، فقال عليه السلام: معاذالله، أنت أعلم بالله وأبرّ وأتقى وأكرم وأشدّ خوفاً من الله من أن أُوبّخك بمخالفتي، وقد عزّ عليّ مفارقتك وفقدك إلّا أنّه أمر لابدَّ منه، والله لقد جدّدت عليّ مصيبة رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد عظمت وفاتك وفقدك، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون من مصيبة ما أفجعها وآلمها وأمضّها وأحزنها! هذه والله مصيبة لاعزاءَ عنها، ورزيّة لا خلف لها.

ثمّ بكيا جميعاً ساعة، وأخذ عليٌّ رأسها وضمّها إلى صدره، ثمّ قال: أوصيني بما شئت، فإنّك تجدينني وفيّاً، أُمضي كلّ ما أمرتني به، وأختار أمرك على أمري. ثم قالت: جزاك الله عنّي خير الجزاء يا ابن عمّ، أُوصيك أوّلاً أن تتزوّج بعدي بابنة أُختي أمامة، فإنّها تكون لولدي مثلي، فإنّ الرجال لابدَّ لهم من النساء ـ فمن أجل ذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام: أربعة ليس إلى فراقهنَّ سبيلٌ، وعدَّ منهنّ أمامة؛ وقال أوصت بها فاطمة عليها السلام ـ. ثمّ قالت: أوصيك يا ابن عمّ أن تتّخذلي نعشاً، فقد رأيت الملائكة صوَّروا صورته، فقال لها: صفيه لي، فوصفته، فاتّخذه

لها. ثمّ قالت: أُوصيك أن لا يشهد أحد جنازتي من هؤلاء الّذين ظلموني، ولا تترك أن يصلّي عليّ أحد منهم، وادفنّي في الليل إذا هدأت العيون، ونامت الأبصار.

ثمّ توفّيت ـ صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها ـ، فصاح أهل المدينة صيحة واحدة وإجتمعت نساء بني هاشم في دارها، فصرخن صرخة واحدة كادت المدينة تتزعزع من صراخهنّ، وهنّ يقلن: يا سيّدتاه، يا بنت رسول الله، وأقبل الناس مثل عرف الفرس إلى عليّ عليه السلام، وهو جالس، والحسن والحسين عليهما السلام بين يديه يبكيان، فبكى الناس لبكائهما، وخرجت أُمّ كلثوم عليها برقعها، تجرُّ ذيلها، متجلّلة برداء وهي تقول: يا أبتاه يا رسول الله الآن حقّاً فقدناك فقداً لالقاء بعده أبداً[1].

واجتمع الناس فجلسوا وهم يرجعون وينتظرون أن تخرج الجنازة فيصلُّوا عليها، فخرج أبوذرّ وقال: انصرفوا فإنّ ابنة رسول الله قد أُخّر إخراجها هذه العيشة[2]. فقام الناس وانصرفوا، فلمّا أن هدأت العيون، ومضى شطر من الليل أخرجها عليٌّ والحسن والحسين عليهم السلام وعمّار والمقداد وعقيل والزبير وأبوذرّ وسلمان وبريدة ونفر من بني هاشم وخواصّه، وصلُّوا عليها ودفنوها في جوف الليل، وسوّى عليٌّ عليه السلام حواليها قبوراً مقدار سبعة قبور حتّى لا يعرف قبرها، وقال بعضهم: سوّى قبرها مع الأرض حتّى لا يعرف أحد موضعه.

---

(١) أي في الدنيا، فإنّها دار فراق، وأمّا في الآخرة فأتباعه والشيعة مجتمعون حوله في الجنّة فضلاً عن أهله وذراريه.

(٢) كذا، والصواب: العشيّة.

وروي أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام قام بعد دفنها، فحوّل وجهه إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ قال: السلام عليك يا رسول الله عنّي وعن ابنتك وزائرتك النازلة في جوارك، والبائتة في الثرى ببقعتك، والمختار الله لها سرعة اللحاق بك، قلّ يا رسول الله عن صفيَّتك صبريّ، ورقّ عنها تجلُّدي، إلّا أنّ التأسيّ بعظيم فرقتك وفادح مصيبتك موضع تعزٍّ؛ فلقد وسّدتك في ملحود قبرك، وفاضت بين نحري وصدري نفسك؛ بلى وفي كتاب الله لي أنعم القبول: ﴿إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

قد استرجعت الوديعة، وأُخذت الرهينة[1]، واختلست الزهراء، فما أقبح الخضراء والغبراء يا رسول الله، أمّا حزني فسرمد، وأما ليلي فمسهَّد، إلى أن يختارالله لي دارك الّتي أنت فيها مقيم؛ كمدٌّ مقيّح، وهمٌّ مهيّج، سرعان ما فرّق بيننا، وإلى الله أشكو، وستنبّئك ابنتك بتظافر أُمَّتك على هضمها[2]، فأحفها السؤال، واستخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثّه سبيلاً، وستقول، ويحكم الله وهو خير الحاكمين؛ والسلام عليكما سلام مودّع، لا قالٍ ولا سئم، فإن أنصرف فلا عن ملالة، وإن أقم فلا عن سوء ظنّ بما وعد الله الصابرين.

---

(١) قال ابن أبي الحديد: الوديعة والرهينة عبارة عن فاطمة... كأنّها عليها السلام كانت عنده عوضاً من رؤية رسول الله صلى الله عليه وآله كما تكون الرهينة عوضاً عن الأمر الّذي أُخذت رهينة عليه. (شرح النهج، ج ١٠، ص ٢٦٩).

(٢) قال الشارح العلّامة الخوئي رحمه الله: إنّ التظافر بمادّته الّتي هي الظفر وهو الفوز على المطلب ويدلّ على أنّ هضمها كان مطلوباً لهم، لكنّهم لم يكونوا متمكّنين من الفوز به مادام كونه صلى الله عليه وآله حياً بين أظهرهم، فلمّا وجدوا العرصة خالية من وجوده الشريف فازوا به. وإن كان مأخوذاً من أظفر الصقر الطاير من باب اقتعل (كذا)، وتظافر أي أعلق عليه ظفره وأخذه برأسه، فيدلّ على أنّهم علّقوا أظفارهم على هضمها قاصدين بذلك قتلها وإهلاكها. (ج ١٣، ص ١٤).

واهاً واهاً، والصبر إيمن وأجمل، ولولا غلبة المستولين لجعلت المقام واللبث عندك لزاماً معكوفاً، ولأعولت إعوال الثكلىٰ عن جليل الرزّية، فبعين الله تدفن ابنتك سرّاً، وتهضم حقّها، ويمنع إرثها، ولم يطل العهد، ولم يخلق منك الذكر، إلى الله يا رسول الله المشتكى، وفيك يا رسول الله أحسن العزاء، صلّى الله عليك وعليك وعليها السلام والرضوان.

ولمّا دفنها عليٌّ عليه السلام قام على شفير القبر فأنشأ يقول:

لكلّ اجتماع من خليلين فرقة وكلّ الّذي دون الفراق قليل

وإنّ افتقادي فاطماً بعد أحمد دليل على ان لا يدوم خليل[1]

(١) «المجالس السنيّة في مناقب ومصائب العترة النبويّة» تأليف السيّد محسن الأمين المجلّد الثاني، ص ١٢٣ ـ ١٢٦.

خاتمة

أيّـها الأحـباب قـوموا وانـدبوا وإطلبوا المهدي بـدمعٍ مـنهمل

أجل: هذا عرض سريع لمعرفة الإخـلاص والريـاء فـي مـدرسة مـولاتنا وسيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام، ولابد لكـل مـؤمن ومـؤمنة أن يسـعى مـن أجـل الخلاص وتحصيل الإخلاص، فانه بسببه يكون الثبات في أيام الغيبة الكـبرى وانتظار صاحب العصر الإمام القائم المهدي الموعود مـن ولد فـاطمة، الحـجة الثاني عشر ابن العسكري المنتظر، عجل الله تعالى فرجه الشريف.

١ ـ البحار بسنده عن الحسين بن خالد عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه، عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنه قال للحسين عليه السلام: التاسع من ولدك يا حسـين! هـو القـائم بالحق المظهر للدين، الباب والعدل، قال الحسين عليه السلام: فقلت: يا أميرالمـؤمنين وإن ذلك لكائن؟ فقال عليه السلام: اي والذي بعث محمداً بالنبوة واصطفاه على جـميع البرية، ولكن بعد غيبة وحيرة لاتثبت فيها على دينه الاّ المخلصون المـباشرون لروح اليقين، الذين أخذ الله ميثاقهم بولايتنا، وكتب في قلوبهم الايمان، وأيدهم بروح منه[1].

---

(١) البحار: ٥١: ١١٠.

٢ ـ البحار بسنده عن الصّقر بن أبي دلف قال: سمعت أباجعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام يقول: الإمام بعدي إبني علي أمره أمري، وقوله قولي، وطاعته طاعتي، والإمام بعده ابنه الحسن أمره أمر أبيه وقوله قول أبيه، وطاعته طاعة أبيه، ثم سكت فقلت له: يابن رسول الله فمن الإمام بعد الحسن؟ فبكى عليه السلام بكاءً شديداً، ثم قال: إنّ من بعد الحسن إبنه القائم بالحق المنتظر، فقلت له: يابن رسول الله ولم سمّي القائم قال: لأنه يقوم بعد موت ذكره، وإرتداد أكثر القائلين بإمامته، فقلت له: ولم سمّي المنتظر؟ قال: إن له غيبة يكثر أيامها، ويطول أمدها، فينتظر خروجه المخلصون، وينكره المرتابون، ويستهزئ به الجاحدون، ويكذب فيها الوقّاتون، ويهلك فيها المستعجلون، وينجو فيها المسلّمون[1].

«اَللّـهُمَّ وَصَلِّ عَلىٰ وَلِيِّ اَمْرِكَ الْقآئِمِ الْمُؤَمَّلِ، وَالْعَدْلِ الْمُنْتَظَرِ، وَحُفَّهُ بِمَلآئِكَتِكَ الْمُقَرَّبِينَ، وَاَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ يا رَبَّ الْعالَمِينَ. اَللّـهُمَّ اجْعَلْهُ الدّاعِيَ اِلىٰ كِتابِكَ، وَالْقآئِمَ بِدِينِكَ، اسْتَخْلِفْهُ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفْتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِ، مَكِّنْ لَهُ دِينَهُ الَّذِي ارْتَضَيْتَهُ لَهُ، اَبْدِلْهُ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِ اَمْناً، يَعْبُدُكَ لا يُشْرِكُ بِكَ شَيْئاً. اَللّـهُمَّ اَعِزَّهُ وَاَعْزِزْ بِهِ، وَانْصُرْهُ وَانْتَصِرْ بِهِ، وَانْصُرْهُ نَصْراً عَزِيزاً، وَافْتَحْ لَهُ فَتْحاً يَسِيراً، وَاجْعَلْ لَهُ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطاناً نَصِيراً. اَللّـهُمَّ اَظْهِرْ بِهِ دِينَكَ وَسُنَّةَ نَبِيِّكَ، حَتّىٰ لا يَسْتَخْفِيَ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَقِّ مَخافَةَ اَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ. اَللّـهُمَّ اِنّا نَرْغَبُ اِلَيْكَ فِي دَوْلَةٍ كَرِيمَةٍ، تُعِزُّ بِهَا الْإِسْلامَ وَاَهْلَهُ، وَتُذِلُّ بِهَا النِّفاقَ وَاَهْلَهُ،

(١) البحار: ٥١: ١٥٨.

وَتَجْعَلُنا فيها مِنَ الدُّعاةِ إِلىٰ طاعَتِكَ، وَالْقادَةِ إِلىٰ سَبيلِكَ، وَتَرْزُقُنا بِها كَرامَةَ الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ، اَللّٰهُمَّ ما عَرَّفْتَنا مِنَ الْحَقِّ فَحَمِّلْناهُ وَما قَصُرْنا عَنْهُ فَبَلِّغْناهُ، اَللّٰهُمَّ الْمُمْ بِهِ شَعَثَنا، وَاشْعَبْ بِهِ صَدْعَنا وَارْتُقْ بِهِ فَتْقَنا، وَكَثِّرْ بِهِ قِلَّتَنا، وَاَعْزِزْ بِهِ ذِلَّتَنا، وَاَغْنِ بِهِ عائِلَنا، وَاقْضِ بِهِ عَنْ مُغْرَمِنا، وَاجْبُرْ بِهِ فَقْرَنا، وَسُدَّ بِهِ خَلَّتَنا، وَيَسِّرْ بِهِ عُسْرَنا، وَبَيِّضْ بِهِ وُجُوهَنا، وَفُكَّ بِهِ اَسْرَنا، وَاَنْجِحْ بِهِ طَلِبَتَنا وَاَنْجِزْ بِهِ مَواعيدَنا، وَاسْتَجِبْ بِهِ دَعْوَتَنا، وَاَعْطِنا بِهِ سُؤْلَنا، وَبَلِّغْنا بِهِ مِنَ الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ آمالَنا، وَاَعْطِنا بِهِ فَوْقَ رَغْبَتِنا، يا خَيْرَ الْمَسْئُولينَ وَاَوْسَعَ الْمُعْطينَ، اِشْفِ بِهِ صُدُورَنا، وَاَذْهِبْ بِهِ غَيْظَ قُلُوبِنا، وَاهْدِنا بِهِ لِمَا اخْتُلِفَ فيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، اِنَّكَ تَهْدي مَنْ تَشاءُ اِلىٰ صِراطٍ مُسْتَقيمٍ، وَانْصُرْنا بِهِ عَلىٰ عَدُوِّكَ وَعَدُوِّنا، اِلٰهَ الْحَقِّ آمينَ، اَللّٰهُمَّ اِنّا نَشْكُوا اِلَيْكَ فَقْدَ نَبِيِّنا صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَاٰلِهِ، وَغَيْبَةَ وَلِيِّنا، وَكَثْرَةَ عَدُوِّنا، وَقِلَّةَ عَدَدِنا، وَشِدَّةَ الْفِتَنِ بِنا، وَتَظاهُرَ الزَّمانِ عَلَيْنا، فَصَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَاٰلِهِ، وَاَعِنّا عَلىٰ ذٰلِكَ بِفَتْحٍ مِنْكَ تُعَجِّلُهُ، وَبِضُرٍّ تَكْشِفُهُ، وَنَصْرٍ تُعِزُّهُ، وَسُلْطانِ حَقٍّ تُظْهِرُهُ، وَرَحْمَةٍ مِنْكَ تَجَلِّلُناها، وَعافِيَةٍ مِنْكَ تُلْبِسُناها، بِرَحْمَتِكَ يا اَرْحَمَ الرّاحِمينَ»[1].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) مفاتيح الجنان. من دعاء الافتتاح في ليالي شهر رمضان المبارك.

فهرس المطالب

معرفة المنهجيّة في طرح الموضوع ٦

حديث جنود العقل والجهل والتعليق عليه ٧

اعرف عدوّك اللدّود ١٩

قبس من نور الأخلاص ٢١

تعريف الاخلاص ٢٣

الاخلاص صعب مستصعب ٢٦

إنّما الأعمال بالنيّات ٣٥

حقيقة الإخلاص ٤٣

أمثلة في شوب الأعمال بالرياء ٤٧

تشويش الشيطان في صلاة المؤمن ٥٣

مراتب الاخلاص السبع ٥٩

وميض في معرفة الإخلاص على ضوء القرآن الكريم والأخبار الشريفة ٦٣

كمال الانسان بالعلم الحقيقي الثابت وبالحريّة الملكوتيّة ٧٥

حقيقة الرّياء ٨٢
درجات الرياء ٨٩
قبح الرياء وآفاته على ضوء القرآن الكريم والأحاديث الشريفة ٩١
علامات الريّاء وأسبابه ٩٩
أسباب الرياء وعوامله ١٠٠
كيف نعالج مرض الرّياء ١٠٢
كيف نعالج الريّاء؟! ١٠٧
الأوّل: التفكّر ١٠٧
الثاني: الدعاء ١١٣
صعود العمل الخالص إلى الله تعالى ١١٦
الاخلاص في مدرسة فاطمة الزهراء عليها السلام ١٢٣
ويطعمون الطعام على حبّه ١٣٢
ما لشيعة فاطمة الزهراء عليها السلام؟ ١٣٥
يوم على آل الرسول عظيم ١٤٠
خاتمة ١٤٥
فهرس الموضوعات ١٤٨

موسوعة رسالات إسلامية

قسم العقائد

ت	الكتاب	صفحة	ط	السنة
١	آثار الصلوات في رحاب الروايات.	١٢٠	١	١٤٢٣
٢	الإمام الحسين في عرش الله.	٣٠٠	١	١٤٢١
٣	الإمام المهدي وطول العمر في نظرة جديدة.	١٢٨	١	١٤٢١
٤	الأنفاس القدسية في أسرار الزيارة الرضوية.	٥٨	٢	١٤٢١
٥	الأنوار القدسيّة.	٩٦	٢	١٤٢١
٦	أهل البيت سفينة النجاة.	٩٦	٢	١٤٢١
٧	البارقة الحيدرية في الأسرار العلويّة.	٣٢	٢	١٤٢١
٨	تحفة الزائرين.	٢٠٠	١	١٤١١
٩	جلوة من ولاية أهل البيت.	٣٢	٢	١٤١٩
١٠	الحقّ والحقيقة بين الجبر والتفويض.	١٣٠	١	١٣٩٨
١١	الدرّ الثمين في عظمة أمير المؤمنين.	١٦	٢	١٤٢١
١٢	دروس اليقين في معرفة أُصول الدين.	٤٥٤	١	١٤١٤
١٣	الدرّة البهيّة في الأسرار الفاطمية.	٢٠	٢	١٤٢١
١٤	زينب الكبرى زينة اللوح المحفوظ.	١٦	٢	١٤٢١
١٥	السرّ في آية الاعتصام.	٧٢	٢	١٤٢١

١٦	سهام في نحر التكفيريّة	١٠٤	٣	١٤٢٦
١٧	السيف الموعود في نحر اليهود.	٦١	٢	١٤١٨
١٨	شهد الأرواح.	١٦٠	١	١٤٢٣
١٩	عصمة الحوراء زينب.	٨٠	٢	١٤٢٣
٢٠	عقائد المؤمنين.	٢٧٢	١	١٤١١
٢١	عليّ المرتضى نقطة باء البسملة.	١٢٤	٢	١٤٢١
٢٢	فاطمة الزهراء سرّ الوجود.	٩٦	٢	١٤٢٣
٢٣	فاطمة الزهراء ليلة القدر.	٣٢	٢	١٤٢١
٢٤	فاطمة الزهراء مشكاة الأنوار	١٠٤	١	١٤٢٣
٢٥	في رحاب حديث الثقلين.	٤٥٠	١	١٤٢٣
٢٦	في رحاب وليد الكعبة.	٦٤	٢	١٤٢٣
٢٧	في ظلال زيارة الجامعة.	٤٨	١	١٤٢٣
٢٨	القرآن الكريم في ميزان الثقلين.	١٤٤	١	١٤٢٣
٢٩	لمعة من الأفكار في الجبر والاختيار.	١٦	١	١٤٢٣
٣٠	ماذا تعرف عن الغلوّ والغلاة.	٤٨	١	١٤٢٣
٣١	المأمول في تكريم ذرّية الرسول.	١٢٨	١	١٤٢٣
٣٢	من نسيم المبعث النبوي	٣٢	١	١٤٢٣
٣٣	النجوم المتناثرة.	١٩٢	١	١٤٢٣
٣٤	وميض من قبسات الحقّ.	١٦	٢	١٤٢١

٣٥	الهدى والضلال في ميزان الثقلين.	٨٠	١	١٤٢٣
٣٦	هذه هي البراءة.	١٨٤	١	١٤٢٣
٣٧	هذه هي الولاية.	٤٧٠	١	١٤١٩
٣٠١	نقطة المسير في علم التفسير	٣٢	١	١٤٢٧
٣٠٢	شمعة مضيئة في درب المناسبات	٣٢	١	١٤٣١

موسوعة رسالات إسلامية
قسم الأخلاق

ت	الكتاب	صفحة	ط	السنة
١	الإخلاص في الحجّ.	٢٤	٢	١٤٢٣
٢	أخلاق الطبيب في الإسلام.	١٧٦	١	١٤١٨
٣	إشراقات نبويّة.	٣٠	١	١٤٢١
٤	بهجة المؤمنين في زيارات الطيّبات والطيّبين.	٨٨	٢	١٤٢٣
٥	بيان المحذوف في تتمّة كتاب الأمر بالمعروف.	٧٨	١	١٤١١
٦	تحفهٔ فدوى يا نيايش مؤمنان (فارسي).	١١٢	٢	١٤١٠
٧	تربية الأُسرة على ضوء القرآن والعترة.	٣٦٠	١	١٤٢٣
٨	التوبة والتائبون على ضوء القرآن والسنّة.	٤٠٨	١	١٤١٤
٩	حبّ الله نماذج وصور.	٨٠	٢	١٤٢١
١٠	حقيقة الأدب على ضوء المذهب.	٤٠	١	١٤٢٣
١١	حقيقة القلوب في القرآن الكريم.	٢٥٥	٢	١٤٢٣
١٢	خصائص القائد الإسلامي في القرآن الكريم.	١٢٨	٢	١٤١٨
١٣	دروس في الأخلاق.	١٢٠	١	١٤٢٣
١٤	دور الأخلاق المحمّدية في تحكيم مباني الوحدة الإسلامية.	٣٠	٢	١٤١٨
١٥	الذكر الإلهي في المفهوم الإسلامي.	١١٢	٢	١٤٢١
١٦	رسالتنا.	٥٤	٢	١٤١٨
١٧	رسالة في العشق.	٣٢	١	١٣٩٨
١٨	سرّ الخليقة وفلسفة الحياة.	٣٢	٢	١٤٢٣

١٩	السعيد والسعادة بين القدماء والمتأخّرين.	١٦٨	١	١٤٠٥
٢٠	السؤال والذكر في رحاب القرآن والعترة.	٥٦	٢	١٤٢٣
٢١	السيرة النبوية في السطور العلوية.	٤٨	٢	١٤٢١
٢٢	شهر رمضان ربيع القرآن.	٢٢	٢	١٤٢١
٢٣	الشهيد عقل التاريخ المفكّر	٣٢	١	١٤٢٣
٢٤	الشيطان على ضوء القرآن.	٥٦	١	١٤٢٣
٢٥	طالب العلم والسيرة الأخلاقية.	١٧٦	١	١٤١٨
٢٦	على أبواب شهر رمضان المبارك.	٣٨	٢	١٤٢١
٢٧	فضيلة العلم والعلماء.	٦٤	١	١٤٢٣
٢٨	قبس من أدب الأولاد.	١٢	١	١٤٢٣
٢٩	كلمة التقوى في القرآن الكريم.	٦٤	٢	١٤٢٣
٣٠	كيف أكون موفّقاً في الحياة ؟.	٨٨	٢	١٤٢١
٣١	محاضرات في علم الأخلاق ـ القسم الأوّل ـ	١٢	١	١٤٢٠
٣٢	معالم الصديق والصداقة.	١١٢	١	١٤٢١
٣٣	مقام الأنس بالله.	٤٠	٢	١٤٢٣
٣٤	من لطائف مناسك الحجّ والزيارة.	٣٢	١	١٤٢٣
٣٥	من وحي التربية والتعليم.	٨٠	١	١٤٢١
٣٦	مواعظ ونصائح.	٣٢	١	١٤١٨
٣٧	المؤمن مرآة المؤمن.	٤٨	٢	١٤٢٣
٣٨	النبوغ وسرّ النجاح في الحياة.	٢٢	٢	١٤٢١
٣٩	الياقوت الثمين في بيعة العاشقين.	٦٤	٢	١٤٢٣
٤٠	اليقظة الإنسانية في المفاهيم الإسلامية.	١٦	١	١٤٢٣
٤١	ضياء العنين في اجوبة مسائل البحرين			

موسوعة رسالات إسلامية
قسم الفقه

ت	الكتاب	صفحة	ط	السنة
١	أحكام دين اسلام (فارسي).	١٢٨	٢	١٣٩٩
٢	أحكام السرقة على ضوء القرآن والسنّة	٤٥٠	١	١٤٢٣
٣	التقيّة بين الأعلام.	٢١٨	٢	١٤١٧
٤	التقيّة في رحاب العلمين.	٣٧	٢	١٤١٧
٥	راهنماى قدم بقدم حجاج (فارسي).	٢٧١	٣	١٤٠١
٦	رسالة التكليف والمكلّف.	١٤٤	١	١٤٢٣
٧	زبدة الأفكار في طهارة أو نجاسة الكفّار.	٢٣٢	١	١٤١٧
٨	القصاص على ضوء القرآن والسنّة (٣ أجزاء).	١٤٩٣	١	١٤١٩
٩	القول الرشيد في الاجتهاد والتقليد (جزءان).	٨٩٦	١	١٤٢٢
١٠	القول المحمود في القانون والحدود.	٣٢	٢	١٤٢٢
١١	من آفاق أوّليات أُصول الفقه (القسم الأوّل).	٤٨	١	١٤٢٣
١٢	منهاج المؤمنين (جزءان).	٦٢٠	١	١٤٠٦
١٣	في رحاب الفقه الإمامي	٣٧	١	١٤٢٥
١٤	الاقوال المختارة في أحكام الطهارة ـ المجلد الأوّل	٥٠٥	١	١٤٣١
١٥				
١٦				
١٧				
١٨				

موسوعة رسالات إسلامية
قسم الثقافة العامّة

ت	الكتاب	صفحة	ط	السنة
١	امام و قيام (فارسي).	٣٢	١	١٤٠٠
٢	أسئلة وأجوبة عبر شبكة الانترنيت.	٣٢	١	١٤٢٣
٣	أيّام في الثابتيّة.	٧٢	١	١٤٢٣
٤	بيوتات الكاظمية.	٢٤	٢	١٤١٩
٥	حول دائرة المعارف والموسوعة الفقهيّة.	٢٤	٢	١٤٢٣
٦	دليل السائحين إلى سورية ودمشق.	١٢٨	١	١٤١٢
٧	رفض المساومة في نشيد المقاومة.	١٤	١	١٤٢٠
٨	الروضة البهيّة في شؤون حوزة قم العلميّة.	٤٠	٢	١٤٢٣
٩	الشاكري كما عرفته.	١٢	١	١٤١٨
١٠	طلوع البدرين في ترجمة العلمين.	٤٨	١	١٤١٥
١١	عبقات الأنوار في تراجم أعلام دمشق.	١٥٢	١	١٤١٢
١٢	فقهاء الكاظمية المقدّسة (طبع في صحيفة صوت الكاظمين).	١٠٠	١	١٤١٠
١٣	فنّ الخطابة في سطور.	١٦	٢	١٤٢٣
١٤	في رحاب الحسينيات ـ القسم الأوّل.	٤٠	١	١٤١٠
١٥	في رحاب الحسينيات ـ القسم الثاني.	٦٢	١	١٤١٠
١٦	في رحاب علم الرجال.	٣٢	١	١٤١٠

١٧	قبسات من حياة سيّدنا الأُستاذ.	١٦٢	٣	١٤٣١
١٨	الكوكب الدرّي في حياة السيّد العلوي.	٣٢	٣	١٤٣١
١٩	الكوكب السماوي مقدّمة ترجمة الشيخ العوامي.	٢٥	٢	١٤٣١
٢٠	لماذا الشهور القمريّة ؟	١٦	١	١٤٢٢
٢١	لمحات عن الشعر والشعراء.	١٢٠	٢	١٤٢٣
٢٢	لمحة من حياة الإمام القائد.	١٥٢	٣	١٤٣١
٢٣	ماذا تعرف عن العلوم الغريبة ؟	٦٤	١	١٤٢٣
٢٤	المعالم الأثرية في الرحلة الشامية.	٩٠	١	١٤١٢
٢٥	من حياتي (أوراق من العمر).	١٢٨	٢	١٤٣١
٢٦	منهل الفوائد ـ القسم الأوّل ـ.	٣٩٢	١	١٤٢٣
٢٧	النفحات القدسية في تراجم أعلام الكاظمية.	٤٦٤	١	١٤١٩
٢٨	نسيم الأسحار في ترجمة سليل الأطهار (من حياة السيّد الخوئي).	١٢	٣	١٤٣١
٢٩	الأثر الخالد في ترجمة الوالد (النجفي المرعشي)			
٣٠				
٣١				
٣٢				
٣٣				
٣٤				
٣٥				
٣٦				

المخطوطات

ت	الكتاب
١	إجمال الكلام في ماهية النوم والمنام.
٢	أمثلة وأجوبة قادت شباب السنّة والشيعة إلى الحق.
٣	الإسلام وعلم النفس.
٤	أشعة الشروق في شرح رسالة الحقوق.
٥	الأصل حبّنا أهل البيت.
٦	أضف إلى معلوماتك القرآنيّة.
٧	أضواء على زيارة عاشوراء.
٨	الأقوال المختارة في أحكام الطهارة.
٩	الأنوار المشرقة في شرح دعاء عرفة.
١٠	أوراد وأذكار.
١١	الامال في القرآن الكريم.
١٢	إعراب سورة الحمد.
١٣	أسئلة وأجوبة عبر شبكة الإنترنت - القسم الثّاني -
١٤	البداء بين الحقيقة والافتراء
١٥	بداية الفكر في شرح الحادى عشر.
١٦	بديهة الجواب.
١٧	بريق السعادة في معرفة الغيب والشهادة.
١٨	بناء القبور على ضوء القرآن والسنّة.

١٩	تفسير سورة الناس.
٢٠	تفسير سورة يوسف.
٢١	تلك آثارهم.
٢٢	تسهيل الوصول إلى شرح كفاية الأصول.
٢٣	تقريرات أصول الجواد.
٢٤	تقريرات أصول الفاضل.
٢٥	تقريرات كتاب الطهارة.
٢٦	تقريرات كتاب القضاء.
٢٧	الحج قراءة قرآنيّة.
٢٨	الجرائم والإنحرافات الجنسيّة.
٢٩	حلاوة الشهد في ليالي القدر.
٣٠	الخصائص الفاطميّة على ضوء الروايات.
٣١	دروس الهداية في علم الدراية.
٣٢	الدنيا سوق الرّبح والخسارة.
٣٣	الدروس الفقهيّة في شرح اللمعة الدمشقيّة.
٣٤	الدوحة العلويّة في المسائل الافريقيّة.
٣٥	الرحم معلقة بعرش الله.
٣٦	روضة الطالب في شرح بيع المكاسب.
٣٧	زبدة الأسرار.
٣٨	الزهراء زينة العرش الإلهي.
٣٩	السلام في الإسلام.

٤٠	السياسة أصولها ومناهجها.
٤١	الشباب عماد البلاد.
٤٢	الشخصيّة النبويّة على ضوء القرآن الكريم.
٤٣	شرح دعاء مكارم الأخلاق.
٤٤	الشعب يسأل.
٤٥	الشوق الهائم في سيرة الإمام القائم عليه السلام.
٤٦	عزة المؤمنين على ضوء نهج البلاغة.
٤٧	العصمة بنظرة جديدة.
٤٨	العمرة المفردة في سطور.
٤٩	العقل والعقلاء.
٥٠	غريزة الحب.
٥١	القول الحميد في شرح التجريد.
٥٢	قبسات من شرح الصحيفة السجاديّة.
٥٣	قبس من تجليات الشجاعة الحسينيّة.
٥٤	قبس من هدى القرآن الكريم.
٥٥	فلسفة من أنا.
٥٦	فنّ التأليف.
٥٧	في رحاب الإمام الصادق عليه السلام في يوم ولادته.
٥٨	في رحاب الرّسول الأعظم في يوم ولادته.
٥٩	في رحاب الإمام الرضا في يوم شهادته.
٦٠	في رحاب التحقيق.

٦١	في رحاب الخير.
٦٢	في رحاب السيدة المعصومة.
٦٣	في رحاب شهر رمضان المبارك.
٦٤	في رحاب شهر شعبان المعظم.
٦٥	في رحاب الغضبانة الإلهيّة.
٦٦	في رحاب علم الرّجال.
٦٧	كيف أنت في ليالي القدر.
٦٨	كيف تكون مفسّراً للقرآن الكريم.
٦٩	اللّسان بين المحاسن والآفات.
٧٠	لمعات من حياة السيد عبدالله الشيرازي.
٧١	لحظات من حياة السيد الشهيد محمّد باقر الصدر.
٧٢	لُباب كفاية الأصول.
٧٣	نور الآفاق في معرفة الأرزاق.
٧٤	النور الباهر بين الخطباء والمنابر.
٧٥	النور والنار على ضوء القرآن الكريم.
٧٦	محاضرات في علم الأخلاق - القسم الثالث -.
٧٧	الميزان في أصول الفقه.
٧٨	الله الصمد في فقد الولد.
٧٩	الولايتان التكوينيّة والتشريعيّة.
٨٠	وميض الصمد في سماء النبي محمّد ﷺ.
٨١	ويسألونك عن التوبة.

٨٢	ماذا تعرف عن السياسة الإسلاميّة.
٨٣	ماذا تعرف عن غيبة صاحب الزّمان عليه السلام.
٨٤	ماذا تعرف عن علم الفلك.
٨٥	ما هي الحقيقة.
٨٦	مجاهدة النفس.
٨٧	مقتطفات في علم الحساب.
٨٨	معرفة الحقائق على ضوء العلامات.
٨٩	منهل الفوائد ـ مجلّدات ـ.
٩٠	هل كان رسول الله أمّياً.
٩١	معالم الحرمين (مكّة والمدينة).
٩٢	ملك الله وملكوته في القرآن الكريم.
٩٣	من آفاق الحجّ والمذاهب الخمسة.
٩٤	فلسفه پوياي من (فارسي).
٩٥	أسرار عرفاني حج (فارسي).

web: www.Alawy.Net
Email: Maktab@Alawy.Net

المؤسّسة الإسلاميّة العالميّة

إلتبليغ والإرشاد

THE PUBLIC ISLAMHC INSTITUTION FOR
PROPAGATION
& GUIDANCE
P . O . BOX: 3634 . QOM - 37185 - IRAN
THELEFAX: 0098 - 251 - 7741737

العنوان: قم . شارع دورشهر . فرع ١٢ . رقم ٩ . ص ب: ٣٦٣٤ قم ٣٧١٨٥ . تلفكس: ٧٧٤١٧٣٧ (٠٩٨ ٢٥١)
عنوان المعرض الدائمي: قم . شارع صفائيه . فرع ١٧ . هاتف: ٧٨٣٧٠٦٠ (٠٩٨ ٢٥١)